اتجاهات معاصرة
في الدراسات الصوتية

مصطفى بن زكي التوني
أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية
بجامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

المقدمة

تعددت المدارس والاتجاهات التي تدور في فلك الدراسات الصوتية، وتنوعت طرائقها في معالجة الظواهر الصوتية ذات الصلة باللغة، وشاع في كل بيئة علمية مدرسة بعينها لها سماتها الخاصة، وطرائقها المميزة، ويهدف هذا البحث إلى التعرض لتلك المدارس والاتجاهات الرئيسة التي عرفتها البيئات العلمية المختلفة.

ففي عالمنا العربي والإسلامي يمثل التراث العربي والإسلامي تياراً غالبا، فالدراسات الصوتية النظرية والتطبيقية المتمثلة في جهود علماء التجويد والقراءات تقدم اتجاهاً فريداً ومتميزاً بكل المعايير العلمية والعملية، وتنتشر المؤسسات العلمية التي تعمل على نشرها وخدمتها، الأمر الذي يجعل منها ـ بفضل الله ـ اتجاها معاصراً رغم أن جذورها تمتد قروناً عديدة هي عمر الحضارة العربية الإسلامية.

كما عرف عالمنا العربي اتجاهاً آخر شاع وانتشر على يد عدد من المبعوثين العرب إلى أوربا، أولعوا بما جاء في المؤلفات الغربية، فحملوا لواء التغريب، وتفاوتت مواقفهم بتفاوت خلفياتهم العلمية، وقد أطلقت على هذا الاتجاه اسم الاتجاه الغربي الوافد.

أما أوربا وأمريكا فقد عرفت حديثاً اتجاهين رئيسين: الاتجاه الفونيمي التقليدي، والاتجاه الفونولوجي التوليدي.

وقد عرف الاتجاه الفونيمي التقليدي مدارس عديدة، اتسمت كل منها بسمات خاصة، فهناك مدرسة بلومفيلد، ومدرسة لندن، ومدرسة براغ، ومدرسة كوبنهاجن.

أما الاتجاه الفونولوجي التوليدي فيعزى إلى تشومسكي وهالي، وهو الاتجاه السائد في الولايات المتحدة الأمريكية في السنوات الأخيرة.

وعليه فقد جاء هذا البحث في ثلاثة أقسام: القسم الأول يتناول الاتجاهات السائدة في عالمنا العربي (الاتجاه التراثي، والاتجاه الوافد)، والقسم الثاني يتناول الاتجاه الفونيمي التقليدي الذي شهدته أوربا وأمريكا، والقسم الثالث يتناول الاتجاه الفونولوجي التوليدي وهو الاتجاه الذي تشهده الولايات المتحدة الأمريكية.

أولاً: الاتجاهات السائدة في العالم العربي

(١)

الاتجاه التراثي العربي الإسلامي

نشأت الدراسات الصوتية العربية في إطار الاهتمام بالقرآن الكريم، وهو مايشكل حالة فريدة بين الأمم، فلا تجد أمة من الأمم أعطت اهتماماً يشبه ذلك الذي أعطته الأمة الإسلامية للقرآن الكريم، فقد كثف علماء العربية جهودهم، واستنفدوا طاقاتهم لضبط النطق السليم والتلاوة الصحيحة لآيات القرآن الكريم، ومن ثم ظهرت الدراسات الصوتية العربية، وكانت من الدقة والعمق بما يتناسب مع ما كان للمسلمين من سيادة علمية وسياسية معروفة.[١]

وفي هذا الإطار ظهرت العديد من المؤلفات التي عالجت قضايا الأصوات ضمن قضايا اللغة مثل الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، كما ظهرت العديد من المؤلفات التي اقتصرت على الدراسات الصوتية أو كادت، وذلك مثل سر صناعة

(١) يذهب أحمد علم الدين الجندي إلى أن الدراسات الصوتية لاقت إهمالاً كبيراً من الجميع باستثناء علماء القراءات القرآنية في العالم الإسلامي الذين حملوا على أكتافهم عبء هذه الدراسات، وكانت جهودهم موفقة، ونتائج بحوثهم دقيقة.

انظر: الجندي: التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي الصرفي، ص ١٠٨. ويؤرخ عبدالوارث عسر لفن الإلقاء بأواسط القرن الأول الهجري أو النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، حيث ابتكر العرب قواعد النطق من أجل القرآن الكريم، ثم أخذتها عنهم شعوب الأرض من بعد.

انظر: عسر، فن الإلقاء، ص ١١ - ١٢.

الإعراب لابن جنى[1] ثم آلت هذه الدراسات إلى علماء القراءات الذين خصصوا في مؤلفاتهم قسماً للدراسات الصوتية تضمنت مخارج الحروف، وصفاتها، وألقابها، وأحوالها منفردة، وغير منفردة.. الخ، وإلى علماء التجويد الذين حصروا جل جهدهم ومؤلفاتهم في ذلك النوع من الدراسات [2].

ولم يكتف علماء القراءات والتجويد بالبحث والتأليف والتصنيف، فصدر عنهم اتجاه تعليمي واسع النطاق، فنشروا هذا العلم في كل مكان تواجد فيه مسلمون، وشددوا على أن يأخذ كل مسلم منه بقبس، وأثر عنهم أن من لم يطبق مايتعلق بقواعد النطق، ومخارج الحروف، وصفاتها، وأحوالها عند تلاوته القرآن الكريم فهو آثم، وأن تعلم تلك القواعد والأحكام مجتمعة فرض كفاية على المسلمين جميعاً[3].

وقد شارك كثير من المعاصرين في تحقيق مخطوطات قيمة في القراءات والتجويد، وفي دراستها ونشرها، كما شاركوا في التصنيف والتأليف في كثير من القضايا والمسائل ذات الصلة، فظهرت العشرات من المؤلفات التي يتداولها الدارسون والباحثون مما كان له أثر كبير في إنعاش الدراسات الصوتية التراثية[4]، كما عملت كثير من البلدان وعلى رأسها المملكة العربية السعودية ـ زادها الله عزاً ورشاداً ـ على إنشاء العديد من المدارس والمعاهد والكليات لخدمة هذا الاتجاه.

(١) انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٤٣١ - ٤٨١، والمبرد، المقتضب، ج١، ص ٣٢٨ - ٣٤٢، وابن جني، سر صناعة الاعراب.

(٢) انظر على سبيل المثال: أبوشامة، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي، والقاصح، سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، وابن الجزري، التمهيد في علم التجويد.

(٣) انظر: الكلاك، نظرات في علم التجويد، ص ٤٢.

(٤) انظر على سبيل المثال:

- البغدادي، قواعد التجويد والإلقاء الصوتي.

- الخطيب، كفاية المستفيد في فن التجويد. =

وتدور تلك الكتب التي حققها المعاصرون، وتلك التي صنفوها حول قضايا تعد من صلب الدراسات الصوتية، وتغطي ما يعرف الآن بعلم الأصوات النطقي، أو فونولوجيا اللغة العربية عند المشتغلين بعلم اللغة الحديث بصفة عامة وعلم الأصوات بصفة خاصة، الأمر الذي يجعل من علم التجويد والدراسات الصوتية الأخرى ذات الصلة الموجودة في التراث اتجاهاً أصيلاً ومهيمناً على الدراسات الصوتية في عالمنا العربي.

فمن الموضوعات والقضايا الصوتية التي نجدها في الكتب التي حققها المعاصرون أو صنفوها: مخارج الحروف وصفاتها، والراءات، واللامات، وياءات الإضافة، والزوائد، والظواهر ذات الصلة بالهمزة، والإدغام، وهاء الكناية، والحروف إذا تقاربت مخارجها، والإمالة، والحركات، والحروف، والمد، واللين، وألقاب الحروف، وأحكام النون الساكنة والتنوين، والوقف والابتداء، والوقف والوصل، والإشباع، والتوسط، والقصر، والروم، والإشمام، والصفات الأصلية، والصفات العارضة. وكل ذلك مباحث صوتية تعتمد على تدريب الأذن، وتمرين اللسان، بالإضافة إلى ماجاء في شأنها من شرح وتفصيل[1].

= - أبوريمة، هداية المستفيد في أحكام التجويد.

- القاصح، سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى.

- القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة.

- قمحاوي، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر.

- المرصفي، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري.

(١) الدعوة إلى إعادة بناء الصرح العلمي العربي مع تطويره والدفع به إلى الأمام دعوة رددها كثير من العلماء والباحثين، وفي ذلك يقول إبراهيم مدكور: «ولم يبق شك اليوم في أن الثقافة العربية غذت قديماً الثقافة اللاتينية والعبرية بغذاء وفير، وامتد غذاؤها إلى عصر النهضة الأوربية والتاريخ الحديث، ونريد لها أن تستعيد مجدها، وأن تسهم مع الثقافات الأخرى في ميدان الفكر والحضارة الإنسانية».

انظر: مدكور، إحياء التراث، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٤٠، ص ٤، وانظر ماورد في الجزأين السابقين: ٣٨، ٣٩.

(٢)

نموذج للدراسة الصوتية
في التراث العربي الإسلامي

سنعرض في هذا القسم نموذجاً للدراسة الصوتية في التراث العربي الإسلامي يعتمد على كتاب «نهاية القول المفيد في علم التجويد» للشيخ محمد مكي نصر، وهو كتاب واسع الانتشار بين طلاب العلم في مصر، والعالم العربي، ويقدم هذا النموذج مثالاً طيباً لما آل إليه أمر الاتجاه التراثي العربي الإسلامي في الدراسات الصوتية على يد علماء التجويد والقراءات المعاصرين في بعض القضايا الصوتية الأساس التي يعني بها المشتغلون بالأصوات في جميع اللغات.

يميز الشيخ محمد مكي نصر بين النَفَس، والصوت، والحرف. فالنَفَس هو الهواء الخارج من داخل فم الإنسان، ويكون صوتاً إن كان مسموعاً، وإلا فلا. ويكون الصوت حرفاً إن اعتمد على مخرج محقق أو مقدر وإلا فلا. وعليه فإن الحرف صوت يعتمد على مخرج محقق أي جزء من أجزاء الحلق واللسان والشفتين، أو مخرج مقدر، وهو الجوف أو الخلاء الواقع في الحلق والفم، ومثال الأخير حرف الألف إذ لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم، والحرف مادته الصوت، والصوت هواء متموج بتصادم جسمين، ولم يختص بالإنسان بخلاف الحرف فإنه مختص بالإنسان وضعاً [١].

ويترادف المخرج في التراث العربي الإسلامي مع المقطع، وإذا أردت أن تعرف مخرج حرف فسكنه، أو شدده، وأدخل عليه همزة الوصل بأي حركة كانت، وأصغ إليه السمع فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، وحيث يمكن انقطاع

(١) نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ٢٧-٢٨.

الصوت في الجملة كان مخرجه المقدر [١].

وتابع الشيخُ محمد مكي نصر الخليلَ بن أحمد الفراهيدي فجعل المخارج سبعة عشر مخرجا، وقسمها خمسة أقسام : الجوف، الحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم.

والمراد بالجوف جوف الحلق والفم، وهو الخلاء الداخل فيهما، ويخرج منه حروف المد الثلاثة الألف، والواو، والياء [٢].

وينقسم الحلق إلى ثلاثة مخارج أقصى الحلق أي أبعده مما يلي الصدر، ويخرج منه حرفان، وهما الهمزة والهاء. ووسط الحلق، ويخرج منه العين والحاء. وأدنى الحلق أي أقربه مما يلي الفم، ويخرج منه الغين والخاء[٣].

وتتوزع الحروف اللسانية على عشرة مخارج: مابين أقصى اللسان يعني أبعده مما يلي الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه القاف. ومابين أقصى اللسان بعد مخرج القاف وما يحاذيه من الحنك الأعلى ويخرج منه الكاف. ومابين وسط اللسان ومايحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه الجيم، والشين، والياء. ومابين إحدى حافتي اللسان ومايحاذيها من الأضراس، ويخرج منه الضاد. ومابين حافتي اللسان معاً بعد مخرج الضاد وما يحاذيهما من اللثة أي لحمة الأسنان العليا، وهي لثة الضاحكين والنابين والرباعيتين والثنيتين، ويخرج منه اللام. وما بين رأس اللسان ومايحاذيه من لثة الثنيتين العليين، ويخرج منه النون المظهرة. ومابين رأس اللسان مع ظهره مما يلي رأسه ومايحاذيهما من لثة الثنيتين العليين أيضاً، تخرج الراء. ومابين ظهر رأس اللسان وأصل الثنيتين العليين، ويخرج

(١) المرجع السابق ص ٣٢.

(٢) نفسه.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٣.

منه الطاء، والدال، والتاء، ومابين رأس اللسان وصفحتي الثنيتين العليين، أعني صفحتيهما الداخلتين، ولايتصل رأس اللسان بالصفحتين بل يسامهما، ويخرج منه الصاد، والسين، والزاي، ومابين ظهر اللسان مما يلي رأسه وبين رأسي الثنيتين العليين ويخرج منه الظاء، والذال، والثاء [١].

أما الحروف الشفوية فقد تكون من بين الشفة السفلى ورأسي الثنيتين العليين، ويخرج منه الفاء، وقد تكون من بين الشفتين، وهي الباء، والميم، والواو [٢].

والمخرج الأخير الخيشوم، ويخرج منه النون، والميم المخفاتان[٣].

أما الصفات فقد بلغت سبع عشرة صفة عند الشيخ محمد مكي نصر، وقسمها قسمين: قسم له ضد، وقسم ليس له ضد. ويضم القسم الأول الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، ومابينهما، والاستعلاء، والاستفال، والإطباق، والانفتاح، والإذلاق، والإصمات. ويضم القسم الثاني الصفير، والقلقلة واللين، والانحراف، والتكرير، والتفشي، والاستطالة. وكل حرف يأخذ خمس صفات من المتضادة، وأما غير المتضادة فيأخذ منها صفة أو صفتين، وقد لايأخذ منها شيئاً، فغاية ما يجتمع في الحرف سبع صفات[٤].

وهذه الصفات ليست كالحلية، ولكنها جماع الحرف وما يقوم به، وهي من الناحية الاصطلاحية كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج من الجهر، والرخاوة، والهمس، والشدة، وبذلك تتميز بعض الحروف المتحدة في المخرج عن بعض، فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لايمتاز عنه إلا بالصفات، وكل

(١) المرجع السابق، ص ٣٤، ٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٤.

حرف شارك غيره في الصفات فإنه لايمتاز عنه إلا بالمخرج، ولولا ذلك لاتحدت أصوات الحروف في السمع، فكانت كأصوات البهائم لاتدل على معنى، ولما تميزت ذواتها [1].

فالجهر انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لقوته، وذلك من قوة الاعتماد على مخرجه، والهمس جريان النفس عند النطق بالحرف لضعفه، وذلك من ضعف الاعتماد على مخرجه، والشدة انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف لكمال قوة الاعتماد على المخرج، والرخاوة جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج، والتوسط بين الشدة والرخاوة عدم كمال احتباس الصوت وعدم كمال جريه، والاستعلاء ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، والاستفال انحطاط اللسان عند حدوث الحرف عن الحنك إلى قاع الفم، والإطباق إطباق أو تلاصق مايحاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان، والانفتاح تجافي كل من طائفتي اللسان والحنك الواحدة عن الأخرى حتى يخرج الريح، والذلاقة أي خروج الحرف من طرف اللسان أو ذلق الشفة، والإصمات وهي صفة الحروف التي يمتنع انفرادها أصولاً في بنات الأربعة والخمسة، والصفير وهو صوت زائد يخرج من بين الشفتين يصحب الحرف، والقلقلة صوت زائد يحدث في المخرج بعد ضغط المخرج وحصول الحرف فيه، واللين إخراج الحرف بعدم كلفة على اللسان، والانحراف ميل الحرف بعد خروجه إلى طرف اللسان، والتكرير إعادة الشيء مرة أو أكثر، والتفشي انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بالحرف، والاستطالة امتداد الصوت واستطالته في مخرجه [2].

(١) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٤ - ٥٨.

وقد فسر الشيخ محمد مكي نصر ما انبهم من هذه الصفات ولاسيما الجهر والهمس وعلاقتهما بالشدة والرخاوة، وهي الصفات التي حار بشأنها اللغويون المعاصرون أصحاب الاتجاه الوافد، فمعيار الجهر والهمس حصر النفس وجريانه، فالنفس الخارج إن تكيف بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً، وإن بقي بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموساً، وبعبارة أخرى إن تكيف النفس كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً، وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموساً، ومعنى عبارة (بلا صوت) تعني بلاصوت جهري يجري مع مبدأ الحرف، فإذا قلت (اذ) بالمعجمة ومددتها تجد نَفَسَها كله متكيفاً بصوت جهري، وإذا قلت (اص) بالمهملة ومددتها تجد مبدأ نفسها متكيفاً بصوت جهري، وآخره خالياً من ذلك الصوت الجهري، بل متكيفا بصوت خفي، وقس عليهما فالصاد المهملة بعض صوتها مجهور، وبعضه مهموس. لكن الاصطلاح وقع على أنها مهموسة، وكذلك سائر حروف الهمس[1].

والعلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للجهر والهمس وثيقة للغاية، وهو مايثبت أصالة البحث الصوتي عند العرب، فالجهر لغة الإعلان والإظهار، والهمس لغة الخفاء، وعلى هذا الأساس جاء تفسير الشيخ محمد مكي نصر لعبارته: وإن بقي بعضه (النَفَسَ) بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموساً، حيث ذكر أن (بلاصوت) تعني بلا صوت جهري.

ويعرض الشيخ محمد مكي نصر لما قد يظهر من تناقض في علاقة الجهر والهمس بالشدة والرخاوة فكيف يجري النفس وينحصر الصوت في الأصوات

(١) المرجع السابق، ص ٤٢.

المهموسة الشديدة كالتاء والكاف،وجريان النفس يستلزم جريان الصوت، واحتباس الصوت يستلزم احتباس النفس، وينفي ماقد يبدو من تناقض؛ إذ إن اتصاف الكاف والتاء بالشدة والهمس لايكون في آن واحد، فالشدة في آن والهمس في زمان آخر، يعني أن شدتهما باعتبار الابتداء وهمسهما باعتبار الانتهاء، وفي كل منهما صوتان الأول قوي والثاني ضعيف، وهو مايختلف عن حروف القلقلة المجهورة الشديدة حيث نجد في كل منها صوتين كلاهما قوي(١).

ومعيار النفس والصوت في الجهر والهمس، والشدة والرخاوة معيار نسبي، وهو مايفهم من قول الشيخ محمد مكي نصر: «اعلم أن جميع الحروف عند الجهر بالقراءة جهري، ولو كان الحرف مهموساً. وأن صوت الحرف وإن كان مجهوراً فهو لايتحقق بدون النفس، لأن حقيقة الصوت هو النفس المسموع كما سبق، فاحتباس الصوت يستلزم احتباس النفس معه، وجريه جريه، وأن نَفَس الحرف وإن كان مهموسا لاينفك عن الصوت، لأن حقيقة الحرف هو الصوت المعتمد على المخرج كما سبق، وأن نفس الحرف المجهور قليل، ونفس الحرف المهموس كثير»(٢).

وعندما يتصف الحرف بجريان النفس وعدم جريان الصوت كالكاف والتاء فإن معنى ذلك أن يجري النفس الكثير،ولايجري الصوت القوي الذي حصل في مبدأ الحرف، وليس المراد نفي جريان الصوت كله، كما أن صوت الشين في الطش جار تمده إن شئت مع أن الشين مهموس كالكاف والتاء، فالنفس الكثير يجري ولايجري معه الصوت القوي، وهو بخلاف مانراه في الحروف الرخوة المجهورة كالغين والزاي حيث يجري الصوت القوي ولايجري معه نفس كثير، وليس المراد نفي جريان النفس كله(٣).

(١) المرجع السابق، ص ٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) نفسه.

وقد ميز الشيخ محمد مكي نصر بين الحروف الشديدة والحروف الرخوة فيما يتعلق بالزمن «الحروف الشديدة آنية لاتوجد إلا في آن حبس النفس، وماعداها زمانية يجري فيه الصوت زماناً، وهي متفاوتة في الجريان إذ الحروف الرخوة أتم جرياناً من الحروف البينية، وحروف المد أطول زماناً من سائر الحروف الرخوة»[1] وهو مايرتبط ارتباطاً وثيقاً بحصر الصوت «إذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصاراً تاماً فلايجري جريانا أصلاً يسمى شديداً، فإنك لو وقفت على قولك الحج وجدت صوتاً راكداً محصوراً حتى لو أردت مد صوتك لم يمكنك» [2].

كما ميز بين نوعين من الصفات، فهناك الصفات اللازمة، وهناك الصفات العارضة، والصفات اللازمة حق الحرف، والصفات العارضة مستحقه، وتتميز الصفات العارضة بأنها لاتَرِدُ إلا في سياق صوتي معين، وذلك مثل ترقيق الراء وتفخيمها، وترقيق اللام وتغليظها، وترقيق الألف وتفخيمها، وإخفاء النون والميم وإظهارهما.. الخ، وما زاد على ذلك من تغيير يتصل بالسياق يكون إدغاما أو إقلاباً أو إبدالاً.

(٣)

الاتجاه الغربي الوافد

نشأ هذا الاتجاه في العالم العربي بفعل الإيفاد العلمي للخارج، وبفعل حركة الترجمة والاطلاع في الداخل، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن رموز هذا الاتجاه إبراهيم أنيس، وكمال بشر، وتمام حسان، وأحمد مختار عمر وغيرهم ممن بدأوا دراساتهم العليا في العواصم الأوروبية فور تخرجهم من جامعات مصر [1].

(١) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢.

(٣) انظر: أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٥، وبشر، علم اللغة العام - الأصوات، ص ١٧١.

ولأصحاب هذا الاتجاه فضل نقل المعارف والمفاهيم الغربية في علم الأصوات إلى الثقافة العربية، كما كان لهذا الاتجاه الفضل في الكشف عن الجوانب الإيجابية للتراث العربي، والدفع في اتجاه إعادة قراءته واكتشافه، وجمع ماتبعثر منه، والبحث عما افتقدناه منه، بيد أن طائفة من أصحاب هذا الاتجاه اتسموا بانبهارهم بالدراسات الصوتية الغربية، ونقدهم بدرجات متفاوتة للتراث العربي الإسلامي، كما اتسموا بكثرة مابينهم من خلاف[1].

أما الانبهار بالدراسات الصوتية الغربية، فيرجع إلى ماوجدوه من حسن العرض، وسهولة الوصول إلى المعلومات، والتنظيم، والترتيب، والفهرسة، ومازودت به المؤلفات الغربية من رسوم، وجداول توضيحية، وماتتوسل به هذه الدراسات من أجهزة وآلات تحاكي بعض أعضاء النطق عند الإنسان، وما إلى ذلك مما لايتوافر في التراث العربي الإسلامي، وهو مايمكن أن نفهمه من قول إبراهيم أنيس : «فلما كان العصر الحديث واتصلت ثقافتنا بثقافات أوربا، ورأينا لعلماء اللغات فيها تلك التجارب الصوتية التي يخيل للناظر إليها أنها نوع من السحر، بدأ أعضاء البعثات اللغوية يعنون بهذا الأمر، ويحاولون الانتفاع به في خدمة اللغة العربية»[2] ومن قول كمال بشر: «ويؤكد أستاذنا فيرث. .»[3] وقوله: «أما في العصور الحديثة فيختلف الأمر عنه في الفترات السابقة. .»[4].

واقترن انبهار هذه الطائفة بما وجدوه في الدراسات الصوتية الغربية بتوجيههم

(١) من المؤلفات التي تعكس جانبا من هذه الخلافات كتاب «دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة» لسعد مصلوح، وفيه تعرض بالنقد للعديد من الدراسات الصوتية المعاصرة، وبدا اختلافه مع أصحابها واضحاً في كثير من الأحكام والآراء.

(٢) أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٥.

(٣) كمال بشر، علم اللغة العام - الأصوات، ص ١٨٤.

(٤) المرجع السابق، ص ١٦٩.

كثيراً من الانتقادات إلى التراث العربي، فاللغويون العرب ـ في رأيهم ـ مقصرون تارة، وواهمون تارة أخرى. ويرددون ما لا يفهمون تارة ثالثة، والمصطلحات العربية في الأصوات غامضة، وغير موفقة، ولم تكن أصوات اللين موضع عنايتهم، كما لم يكونوا بصددها على طريقة مستقيمة[1].

وأهم ما أشكل على رموز هذا الاتجاه موقف التراث العربي من الحركات، وحروف المد واللين، وصفتي الجهر والهمس[2]، واستبعدوا جميعاً أن تتصف الهمزة بالجهر، أو أن يكون مخرج الخاء والغين من الحلق كما ورد في التراث العربي، كما اعتاص لديهم مايعرف بالبينية، ومايميز معيار الشدة والرخاوة عن معيار الجهر والهمس.

أما الحركات وحروف المد، وموقف التراث العربي منهن فلا أجد أدل على ريادة العلماء العرب في كل ماكتب عنهن من قول الفارابي في كتابه الموسيقى الكبير «والحروف منها مصوت، ومنها غير مصوت، والمصوتات منها قصيرة، ومنها طويلة، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات»[3]، وتميزت بمخرجها المقدر، وهو الجوف، ويرجع تنوعها إلى شكل التجويف الفموي، وشكل الشفتين، بالإضافة إلى عنصر الزمان، واقتفت المؤلفات الغربية التقليدية في

(١) انظر: أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٣٧، ٣٩، ١١٦.

(٢) عانى كثير من الباحثين المعاصرين من مفهوم الجهر والهمس في التراث العربي، ومن شواهد تلك المعاناة أن عبدالوارث عسر تحاشى ذكر هذه الصفة، رغم أنه صنف فصلاً بأكمله عن مخارج الحروف وصفاتها واعتمد فيه اعتماداً كاملاً على كتب علم التجويد، وذلك في كتابه «فن الإلقاء» انظر: عسر، فن الإلقاء، ص ٦٧ - ١٠٦، ومن المعاصرين من تردد بين ماقاله علماء العربية، وماقاله المحدثون من اتباع الاتجاه الغربي الوافد.

انظر على سبيل المثال: الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٢٤٠.

(٣) الفارابي، الموسيقى الكبير، ص ١٠٧٢.

علم الأصوات ماجاء في التراث العربي في ذلك كله[1].

وأما الغموض الذي عاناه أصحاب الاتجاه الغربي الوافد فيما يتعلق بالجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، والبينية في التراث العربي، فقد كان من الممكن الكشف عنه بتتبع ماقيل في المصطلحات الصوتية ذات الصلة في التراث العربي، وماذكره علماء التجويد في هذا الصدد، فقد فرقوا بين النفس والصوت، وكلاهما بخلاف الحرف «الهواء الخارج من داخل الرئة. . إن خرج بدفع الطبع من غير أن يسمع يسمى نفساً بفتح الفاء، وإن خرج بالإرادة وعرض له تموج يسمع بسبب تصادم جسمين سمي صوتاً، وإن عرض للصوت كيفيات مخصوصة بسبب اعتماده على مقطع أي مخرج محقق، وهو الذي ينقطع فيه الصوت كجزء من الحلق أو اللسان أو الشفتين أو الخيشوم، أو مقدر وهو الذي لم ينقطع فيه الصوت بل قدر له جوف الحلق والفم، سمي ذلك الصوت حروفاً» [2].

أما الجهر فهو انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لقوته، وذلك من قوة الاعتماد على مخرجه، وحروفه تسعة عشر حرفاً يجمعها قولك: (عظم وزن قارئ ذى غض جد طلب)، ولا تخرج هذه الحروف إلا بصوت قوي شديد يمنع النفس من الجري معها، وبهذا الاعتبار سميت مجهورة.

وأما الهمس فهو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعفه، وذلك من ضعف الاعتماد على مخرجه، وحروفه عشرة يجمعها قولك (فحثه شخص سكت)[3].

ويمكن أن نتبين جريان النفس وعدم جريانه عند النطق بالحرف مكرراً ومحركاً، ويمثل للمجهورة بقق، وللمهموسة بكك فإننا نجد النفس في الأول محصوراً، وفي

(١) انظر: التوني، التحليل النطقي والوظيفي للحركات في التراث العربي.

(٢) نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، ص ٤١ - ٤٢.

(٣) نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، ص ٤٤ - ٤٦.

الثاني جارياً. ويعـود ارتباط جريان النفس بالهمس، وعدم جـريانه بالجهر إلى أن نفس الحرف إن تكيف كله بكيفـية الصوت حتى يحصل صـوت قوي كان الحرف مجـهوراً، وإن بقي بعـضه بلاصـوت يجري مع الحـرف كان الحرف مـهمـوساً، ولايتحقق هذا الفرق إلا في القراءة الجهرية.

وبقاء بعض النفس بلاصوت يجرى مع الحـرف يعني بلاصوت قوي أو جهري كذلك الصوت الذي يجري فـي مبدأ الحرف، فإذا قلت (إذ) ومددتها تجـد نفسها كله متكيفـا بصوت قوي أو جهري، وإذا قلت (إص). ومـددتها تجد مبدأ نَفَـسَها متكيفاً بصـوت قوي أو جهري، وآخره خالياً من ذلك الصـوت القوي أو الجهري بل متكيـفاً بصوت خفي، فالصـاد بعض صوتها مجـهور، وبعضه مـهموس لكن الاصطلاح وقع على أنها مهموسة، وكذا سائر حروف الهمس، وعليه فإن الحرف المهموس ما كان بعض صوته خفياً عند القراءة الجهرية وهو آخره إذ مبدؤه قوي أو جهري، ولا تجد حرفاً كل صوته خفي عند الجهر بالقراءة، وهذه الفروق لاتتحقق إلا في القراءة الجهرية، ولاتتحقق في القراءة سراً [1].

وعليه فإن معـيار الجهر والهمس في التراث العـربي الإسلامي يختلف عنه في المؤلفات الأوربية التي اعتمد عليهـا أصحاب الاتجاه الغربي الوافد، فهي تنظر إلى عمل الوترين الصوتيين[2] فيكون الحرف مجهوراً إذا اهتز الوتران الصوتيان بحيث يسمع بـواسطتهمـا ذبذبة صوتيـة، ويكون الحرف مـهمـوساً إذا لم يهتـز الوتران الصوتيان، ولم يسمع بواسطتهما ذبذبة صـوتية. كما اعتمدوا على وصف الغربيين للحروف الموجودة في لغـاتهم، وأسقطوا ذلك كله على الحروف العربيـة، فجاءت

(١) نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، ص ٤٤ - ٤٦.

(٢) يرى المشتـغلون بعلم الأصوات في أوربا وأمريكا أن اكتـشاف الوترين الصوتيين كـان على يد فابريكوس سنة ١٦٠١م. انظر: حجازي، البحث اللغوي، ص ٢٣.

بعض أحكامهم متباينة عما جاء عن علماء العربية، فقالوا مثلاً بهمس الهمزة، والقاف، والطاء. متأثرين بما وجدوه في كتب الأوربيين عن لغاتهم الأوربية، ووفق مفاهيمهم الخاصة عن الجهر والهمس [1].

أما الشدة فالمراد بها انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف لكمال قوة الاعتماد على المخرج، وضدها الرخاوة، والمراد بها جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج، ويمكنك التحقق من ذلك عند النطق بالحروف الرخوة في نحو (البس، وانعش) حيث تجد الصوت يجري أو يمتد ويطول في السين والشين، بينما لاتجده كذلك في الباء والدال في اضرب واجلد على سبيل المثال، وقد زاد علماء التجويد هاتين الصفتين وضوحاً بقولهم: إن الحروف الشديدة آنية لاتوجد إلا في آن حبس النفس، وماعداها زمانية يجرى فيه الصوت زماناً، وهي متفاوته في جريان الصوت، فحروف المد أطول زماناً من سائر الحروف الرخوة، والحروف الرخوة أطول زماناً من الحروف البينية، وهي الحروف

(١) ومع ذلك هناك مفاهيم عديدة أخرى عند الأوربيين تقترب مما قال به علماء العربية من ذلك ما قال به دانيال جونز من أن الجهر يكون بتضييق الفتحة التي تفصل بين الوترين الصوتيين مع استمرار دفع الهواء من الرئتين إلى الخارج مما يؤدي إلى خروج الرفير في دفعات صغيرة متلاحقة تصاحب عملية فتح وغلق سريعة للوترين الصوتيين، وهو مايسبب الذبذبات التي تميز الأصوات المجهورة، فالحالة التي يصفها جونز ينطبق عليها وصف حصر النفس كما قال به العرب

انظر: Jones , D . The Pronunciation of English , PP . 8 - 9

ومنها أيضاً تفسير بلانك للجهر بأنه نطق الحرف الانفجاري دون أن يتبعه نفس، والهمس بأنه نطق الصوت الانفجاري مصحوباً مباشرة بنفس.

انظر: المزيني، ترقيق الراء وتفخيمها في القراءات القرآنية، ص ٣٥، ومنها أيضاً ماذكره جون ليونز عن النفسية (aspiration) «الأصوات النفسية تختلف عن الأصوات غير النفسية المناظرة لها فالأولى يصاحبها عند النطق بها نفخة زفير صغيرة، ومن الأنسب أن تعالج النفسية كجانب من البعد الخاص بالجهر والهمس».

انظر: ليونز، اللغة وعلم اللغة، ج١، ص ١٠٢.

التي جعلها علماء العربية بين الحروف الشديدة والحروف الرخوة، ويجمعها قولك (لن عمر) لجريان بعض الصوت معها وانحصار بعضه الآخر[١].

وتنقسم الحروف الشديدة، والرخوة إلى مجهورة، ومهموسة. فهناك الحروف الشديدة المجهورة، وهي ستة أحرف يجمعها قولك (قطب جد) بالإضافة إلى الهمزة، والحروف الشديدة المهموسة وتضم حرفين فقط (الكاف والتاء)، والحروف الرخوة المجهورة وتضم ثمانية أحرف الضاد، والظاء، والذال، والغين، والزاي، وحروف المد واللين. والحروف الرخوة المهموسة وهي كل الحروف المهموسة التي يجمعها قولك (حثه شخص فسكت) باستثناء الكاف والتاء، وثمة طائفة أخرى، وهي الحروف البينية، ويجمعها قولك: (لن عمر) وكلها مجهورة بلا استثناء[٢].

ثم إن النفس والصوت متلازمان، فصوت الحرف وإن كان مجهوراً فهو لايتحقق بدون النفس؛ لأن حقيقة الصوت هو النفس المسموع، فاحتباس الصوت يستلزم احتباس النفس معه، وجري الصوت يستلزم جري النفس. كما أن نفس الحرف وإن كان مهموساً لاينفك عن الصوت، وعليه فإن مايفرق بين تلك الطوائف المشار إليها في الفقرة السابقة هو نسبة الصوت إلى النفس وفق معنى النسبة في الرياضيات إن جاز التعبير.

فنفس الحرف المجهور قليل، ونفس الحرف المهموس كثير، ومانذكره من أن النفس قد يجري دون الصوت في طائفة الحروف الشديدة المهموسة التي تضم الكاف والتاء معناه يجري النفس الكثير، ولا يجري الصوت القوي الذي حصل في مبدأ الحرف، وليس المراد نفي جريان الصوت بالكلية، وما نذكره من أن الصوت قد يجري دون النفس كما في طائفة الحروف الرخوة المجهورة كالضاد

(١) نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، ص ٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧-٤٨.

والغين معناه: يجـرى الصوت القوي ولايجـري معه نفس كـثير كمـا يجرى مع المهموس، وليس المراد نفي جريان النفس كلِّه[1].

ويزداد الأمر وضـوحاً بإمعان النظر في طائـفتين من الحروف العربيـة، الطائفة الأولى: الحروف الشديدة المهموسة، وتضم التـاء، والكاف فقط. والطائفة الثانية: الحـروف الشديدة المجـهورة، وتضم حـرف الهـمزة بالإضـافة إلى الحـروف التي يجمعـها قولك (قطب جد)، فالطائفة الأولى قـد يُظَن بها تناقض، فكيف تكون شديدة ومهموسة، وكيف تكون مهموسة أي يجرى النفس فيها وهو يستلزم جريان الصوت، وكـيف تكون في الوقت نفـسه شديدة أي يحـتبس الصـوت فيـها وهو يسلتزم حبس النفس؟

والجواب على ذلك أن الشدة في آن والهـمس في زمان آخر، أي أن الشدة في التاء والكاف باعتبار الابتداء. وهمسهما باعـتبار الانتهاء. فإن النفس يجري معهما آخراً، ومقتضى التناقض اتحاد الزمن، وقـد اختلفا هنا، ففي التاء والكاف صوتان الأول قوي والثـاني ضعـيف، وهو مايخـتلف عنه حال الطائفـة الثانيـة (الحروف الشديدة المجـهورة) التي يكون فيـها صوتان كـلاهما قوي، وعـرفت بسبب ذلك بحروف القلقـلة، باستثناء الهـمزة الذي درج العرب على نـطقها دون المبـالغة في تحقيقها كيلا تشبه التهوع أو السعلة.

أما وضـع التراث العـربي للخاء والغين ضـمن حروف الحلق ـ وهو مـالم يلق قبولاً لدى رمـوز هذا الاتجاه حيث جعلوهما من الحنك اللين مـتأثرين بالدراسات الصوتية الغربية[1]، وهي تصف مايشبه هذين الحـرفين في اللغات الأوربية ـ فهو

(١) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٢) جعل أوكنر على سبيل المثال. . الخاء والغين الموجودتين في اللغات الأوربية من الحنك اللين.

انظر: O'Connor , J., Phonetics , P. 61

صحيح تماماً إذا وضعنا في اعتبارنا النطق العربي الخاص للخاء والغين من جهة، وامتداد البلعوم (الحلق) من أعلى القصبة الهوائية إلى فتحتي الأنف الداخليتين، وانقسامه إلى البلعوم الحنجري، والبلعوم الفموي، والبلعوم الأنفي من جهة أخرى(١).

أما الاختلافات الموجودة فيما بين رموز هذا الاتجاه فهي اختلافات فيما كان من الواجب أن يكون محلاً للاتفاق، وذلك مثل اختلافهم في مخارج الحروف وصفاتها، فجعل كمال بشر الخاء والغين والكاف من أقصى الحنك، وفصل بين الشين والجيم والياء، فجعل الشين والجيم لثوية حنكية، وجعل الياء من وسط الحنك، وفصل بين الراء واللام والنون فجعل الراء لثوية، وكلا من اللام والنون أسنانية لثوية، وجعل للواو مخرجين فهي شفوية ومن أقصى الحنك في آن واحد، وجاء عصام نور الدين ليجعل القاف والغين والخاء من اللهاة، وليصف الهمزة والهاء، بالهمس بينما خالفهما تمام حسان، وأحمد مختار عمر في جوانب تتعلق بالمخارج والصفات(٢).

وخالف بشر التراث العربي حينما جعل الحروف البينية وهي اللام، والنون، والعين، والميم، والراء في التراث العربي مناظرة للحروف السائلة أو المتوسطة في المؤلفات الأوربية، وخطّأ علماء العربية في إدخالهم العين ضمن حروفها، وفاته أن الحروف البينية في التراث العربي تقع فيما بين الحروف الشديدة والحروف الرخوة بينما تقع الحروف المتوسطة أو السائلة في المؤلفات الأوربية بين الحروف الرخوة

(١) عن أقسام البلعوم وامتداده انظر: أيوب، أصوات اللغة، ص ٦٥ - ٦٧.

(٢) انظر: بشر، علم اللغة العام ـ الأصوات، ص ٨٩، ٩٠، ١٣٦، وحسان، مناهج البحث في اللغة، ص ١٥٦، ونور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، ص ١٥٤، وعمر، دراسة الصوت اللغوي، ص ٣١٧ - ٣١٩.

والحركات، وعليه فهما طائفتان مختلفتان[١].

كما اعترى الاضطراب بعض المصطلحات المستخدمة من قِبَل رموز هذا الاتجاه، فعبد الرحمن أيوب[٢] يطلق على الأصوات الطبقية المنسوبة إلى الطبق (الحنك الرخو) مصطلح الأصوات الرخوة، وهو ما لا يستخدمه المشتغلون بالدراسات الصوتية، بل إن هذا الاستخدام من شأنه التداخل مع التقسيم الرئيس للأصوات إلى شديدة ورخوة، ويطلق كذلك مصطلح (الأصوات الصلبة) على ماينسب من الأصوات اللغوية إلى سقف الحنك الصلب (الغار)، وكل ذلك من شأنه إشاعة الفوضى في الدراسات الصوتية العربية.

ثانياً: الاتجاه الفونيمي التقليدي

(١)

مدرسة بلومفيلد

يمكن التأريخ لهذه المدرسة بصدور كتاب بلومفيلد (اللغة) عام ١٩٣٣م، وهو الكتاب الذي جَسّد تحول صاحبه إلى المدخل السلوكي الذي يتضمن التأكيد على الملاحظة العلمية الصارمة، وبدأت فكرة الفونيم التي احتلت جانبا مهماً في هذا الكتاب تروج وتنتشر، وشارك جماعة من الباحثين بلومفيلد في مناقشات حيوية

(١) بشر، علم اللغة العام - الأصوات، ص ١٣٥.

(٢) أيوب، تحليل عملية التكلم وبعض نتائجه التطبيقية، ص ٣٧. وعن كثرة الخلافات والاختلافات فيما يتعلق بالمصطلحات الموجودة في اللسانيات العربية الحديثة انظر: الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ مناهج ترقية اللغة تنظيراً، ومصطلحا، ومعجما ـ اللسانيات العربية المطبقة في القرن العشرين، ص ٢٦٠.

وعن غلبة الترجمة على كثير من المؤلفات الحديثة في هذا المجال، ومانتج عن ذلك من مشكلات انظر: حنا، مبادئ علم اللسانيات الحديث (المقدمة).

حول الفونيم[١]، ومايتعلق به من مفاهيم مثل التوزيع التكاملي، والإحلال، والصور الصوتية، ومن هؤلاء الباحثين سابير، وموريس سوادش، وبرنارد بلوخ، وتراجر [٢].

وتميز أغلب أتباع هذه المدرسة بفصلهم بين مستويات التحليل، واستبعاد المعلومات النظمية، والصرفية، والدلالية عن عملية التحليل الفونيمي، بيد أن بعضهم رأى ضرورة استخدام المعنى لعدم كفاية عنصري التوزيع التكاملي والإحلال في استكشاف عناصر النظام الصوتي [٣].

واستكشاف عناصر النظام الصوتي من فونيمات (Phonemes)، وصور صوتية (Allophonemes)، وأصوات ذات تنوع حر وصور صوتية (Free Variation) يجري وفق خطوات صاغها أصحاب الاتجاه الفونيمي التقليدي، وذلك بأن نضع في اعتبارنا الأصوات اللغوية ناظرين في توزيعها، وأن نكتشف ما إذا كانت تصنع اختلافات في الصيغ أو لا، وعليه فإن الصوامت الأولى في الكلمات التالية: دين، وتين، ولين، وطين، وشين، وسين.. الخ فونيمات لأنها في حالة تقابل، ويمكن أن ترد في سياقات أخرى متماثلة مثل مدين، ومتين، ومشين.. الخ، وذلك وفقاً لتعريف بلومفيلد للفونيم بأنه أصغر الوحدات التي تصنع اختلافاً في المعنى.

---

(١) تتعدد وجهات النظر إلى الفونيم، فهناك وجهة النظر السيكولوجية، ووجهة النظر الفيزيائية، ووجهة النظر الوظفية، ووجهة النظر التجريدية.

انظر: Fudge, E., Phonology , P. P . 79 - 81

(٢) انظر: Swadesh , M . , The Phonemic Principle , P .P 34 , 36

و Bloch, B ., Phonemic Overlapping , P. P . 34 , 36

Trager & Bloch , The Syllabic Phonemes of English , P.P . 77 , 89

(٣) انظر: Pike , K.,On the Phonemic Status of English Diphthongs .

وانظر: Hockett, C., Two Fundamental Problems in Phonemics , P . 203

أما النون المخفاة والنون المظهرة، أو الراء المفخمة والراء المرققة ففي حالة توزيع تكاملي (Complementary Distribution) حيث تفتقد القدرة التمييزية بين الصيغ، ولاترد أبداً في سياق واحد، ومن ثم فهي ليست فونيمات، ولكنها صور صوتية لفونيمي النون والراء (١).

وأما الأصوات التي تكون في حالة تنوع حر فهي الأصوات اللغوية المختلفة التي ترد في سياق واحد، ولاتتسبب في اختلاف المعنى، وذلك مثل الصامت الأخير في good night الذي يمكن أن يكون انفجارياً أو غير انفجاري، فقد يطلق الصوت فيه، وقد يمسك به، الأمر الذي يجعلنا إزاء صوتين مختلفين يتصف أحدهما بالانفجارية، ويخلو الثاني منها، وكلاهما يرد في نفس السياق، ولايتسبب في اختلاف المعنى (٢).

وتسير عملية التحليل الفونيمي بحيث تبدأ بالوحدات الكبرى، ثم تقسم هذه الوحدات إلى وحدات أصغر فأصغر إلى أن تصل في النهاية إلى شيء لايمكن تقسيمه بعد ذلك وهو الفونيم، ولنضرب مثالاً لهذه الخطوات الكشفية، فنحن نعرف أن /str/ في بداية stray (يتيه) يمكن تقسيمها إلى /s/ ,/t/, /r/ . ويرجع ذلك إلى أن /s/ يمكن الاستغناء عنها إذ إن هناك كلمة أخرى هي tray (يحاول)، ولأن /t/ يمكن أيضاً الاستغناء عنها إذ إن هناك كلمة أخرى هي ray

(١) عن الشروط الواجب توافرها في الصور الصوتية انظر:

Trager & Bloch , The Syllabic Phonemes of English, P. 72 .

Bloomfield , L. , Language , P . 136

وانظر أيضاً:

JØrgensen , E . , The Commutation Test and its Application to Phonemic Analysis , P . 72

(2) O' Connor , J ., Phonetics , P . 117

(أشعة)، ويمكن الاستغناء عن /r/ كذلك فهناك كلمة stay (يمكث)، لكن عندما نرغب في التقسيم أكثر من ذلك فلن نجد شواهد تسمح لنا بذلك، وحينئذ يمكن أن نقول إننا قد وصلنا إلى الوحدات الدنيا أو الفونيمات[١].

وهذه الخطوات الكشفية ليست مضمونة تماماً فهناك مشكلات كما في /tʃ/ في كلمة Chair (كرسي)، فيمكن الاستغناء عن /t/ إذ إن هناك كلمة share (يشارك)، ويمكن الاستغناء عن / s / إذ ان هناك كلمة tear (يمزق)، ولهذا يمكن أن يكون الصوتان فونيمين مثل الصامتين الأولين الموجودين في tray (يحاول) مثلاً، ومع ذلك فليس ذلك صحيحاً بل هما وحدة واحدة، الأمر الذي يتعلق بنوعية التتابع (tʃ) من جهة، ولوجود تتابع آخر /dʒ/ الذي لايمكن معاملته المعاملة نفسها نظراً لعدم إمكانية الاستغناء عن الصوت الأول منهما من جهة، ولأنه لا يسمح في اللغة الإنجليزية للصوت الثاني بأن يكون فونيما في بداية الكلمة من جهة أخرى [٢].

وقد خطا بعض الباحثين خطوات أخرى في اتجاه تطوير الاتجاه البلومفيلدي فأدخلوا على التحليل الفونيمي السابق تحليلاً للعناصر اللغوية فوق القطعية مثل طبقة الصوت، والنبر، والتنغيم، ومن هؤلاء هاريس Harris، وويلز Wells، وهوكت Hockett، بيد أن فريقاً آخر من الباحثين رأوا فيما قدمه أولئك ليس تطويراً للبلومفيلدية، ولكنه شاهداً على قصورها، ومبرراً لظهور اتجاهات أخرى كالتطريزية[٣].

(1) O' Connor , J . , Phonetics , P . 118 .

(2) ibid.

(3) Harris, Z ., Simultaneous Components in Phonology , P . 115 .

- Wells , R . , The Pitch Phonemes of English , P . P . 135 - 143 .

وعلى أية حال فإن البلومفيلدية سادت في الولايات المتحدة الأمريكية في المدة التي بين الثلاثينيات والخمسينيات من هذا القرن، وقد تخلى عنها معظم اللغويين، ومع ذلك فهي ذات أهمية جديرة بالاعتبار في فهم تطور معظم النظريات الفونولوجية الحديثة، ولازالت بعض طرائقها ومناهجها مستخدمة على نطاق واسع في الدراسات الصوتية [١].

(٢)

الاتجاه فوق القطعي أو التطريزي

ويعزى هذا الاتجاه إلى اللغوي البريطاني فيرث (Firth) ، ويختلف هذا الاتجاه عن الاتجاه البلومفيلدي في أنه يسمح بتواجد العناصر الصوتية (القطعية)، والعناصر التطريزية (فوق القطعية) جنباً إلى جنب، وتتضمن العناصر القطعية الصوامت والحركات بينما تتضمن العناصر فوق القطعية الملامح التي تميز جوانب معينة من البنية الفونولوجية مثل بداية المقطع، ونهايته، وبداية الكلمة ونهايتها، والتوافق الحركي، والتوافق الصامتي الصائتي، والمماثلة، والمخالفة.. الخ، كما تضم نظم تعاقب الصوامت والحركات، أوطرق تجمعها في مقاطع صوتية، وأنواع هذه المقاطع، وطبيعتها، ومايعتريها من تحوير، هذا وتُحَدّد العناصر القطعية وفق متغيرات العناصر فوق القطعية [٢].

(١) انظر: ليونز، اللغة وعلم اللغة، ج١، ص ص ١١٨، ١٣٣.

وانظر أيضاً:

Palmer , F . R . , Prosodic Analysis , P . 181

Crystal , D. , A First Dictionary of linguistics and Phonetics , p . p . 46 - 47

(٢) انظر: Lyons , J ., Phonemic and Non - Phonemic Phonology , P . 277 .

Palmer , F . R ., Prosodic Analysis , P . P . 181 - 184 .

كما تتضمن العناصر فوق القطعية ـ عند فيرث ـ عناصر تطريزية تخص الجملة (التنغيم)، وعناصر تطريزية تخص أجزاء الجملة (الطول، النبر، النغمة)، وعناصر تخص المقطع الصوتي (الطول، والنغمة، والنبر، والتحنيك، والشفتانية)، وعناصر تخص أجزاء المقطع الصوتي (النفسية، والانعكاسية)، وعناصر تخص الصوامت والحركات (الأنفية، والشفوية، والخلفية، والاستدارة. . الخ)، وعناصر تخص الكلمة تتضمن عدد مقاطعها، وطبيعة هذه المقاطع، وكميتها، وتتابعها، وتتابع الصوامت، والحركات، وموضع النبر فيها، وطبيعته [١].

وقد صارت كثير من أفكار فيرث مقبولة على نطاق واسع، وذلك بعد أن خَفَتَ وهجها، وزال أسباب التنافس بينها وبين غيرها من الاتجاهات المعاصرة الأخرى، وكتب بعض الباحثين عن إمكانية دمج بعض الملامح الخاصة بالتحليل فوق القطعي أو التطريزي في الفونولوجيا التوليدية للحصول على وصف لغوي أكثر بساطة، وأعظم كشفاً [٢].

وكان لمدرسة فيرث كثير من الآراء التي تتعلق بالملامح التطريزية للغة العربية الفصحى، وخص اللغة العربية الفصحى المنطوقة في مصر بدراسة النظام المقطعي والنبر فيها، فالمقاطع الصوتية فيها تبدأ دائماً بصامت، وتتوزع على ستة أنواع منها، ويتحدد النبر في الكلمة في اللغة العربية الفصحى المنطوقة في مصر من خلال معرفة المقاطع الصوتية المكونة لها، كما يختلف موضع النبر في الكلمة الواحدة في الوقف عنه في الوصل، وقد تابع كثير من اللغويين العرب المعاصرين ـ من أتباع الاتجاه الغربي الوافد ـ ماذكرته مدرسة فيرث بشأن المقاطع الصوتية،

(١) انظر: Robins, R . H . , Prosodic Analysis , P . 267

Firth , J ., Sound and Prosodies , P . 258 .

(٢) Formkin , V . , On System Structure Phonology , P . 283 .

ونظام النبر في كلمات اللغة العربية، كما تابعوها فيما يتعلق بدراسة طول الصوت اللغوي، والتنغيم، والمماثلة وغير ذلك من الملامح التطريزية أو فوق القطعية[1].

(٣)

مدرسة براغ

ومن أعلام هذه المدرسة رومان جاكوبسن (Roman Jakobson) ونيكولاي تروبتسكي (N . S . Trubetzkoy)، وقد تميزت تلك المدرسة من حيث نظرتها إلى الفونيمات، فالفونيمات على الرغم من أنها لاتزال أصغر القطع في النظم اللغوية إلا أنها ليست أصغر العناصر فهي حزمة أو مجموعة من الملامح المميزة المتزامنة، وكل ملمح من هذه الملامح يمكن أن يعالج كقيمة خلافية في بعد معين، فصوت [m] عند مدرسة براغ مجهور، وشفوي، وأنفي، وشديد أي له القيم الخلافية التالية: [مجهور] في البعد الخاص بالجهر، وله قيمة [شفوي] في البعد الخاص بمخرج الصوت الأساسي، وله قيمة [أنفي] في البعد الخاص بالأنفية، وله قيمة [شديد] في البعد الخاص بانسداد مجرى الهواء أو إعاقته.

---

(١) انظر: أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٨١- ١٥٤، والغريب، التنغيم في إطار النظام النحوى، ص ٢٨١-٣٢٤، وأكثر من ذلك فقد أدخل فريق منهم المقاطع الصوتية في دراسة موسيقى الشعر العربي، انظر على سبيل المثال: عبدالجليل، هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي، كما تأثر هؤلاء اللغويون العرب ببعض اللغويين الإنجليز من خارج مدرسة فيرث مثل دانيال جونز، وبصفةخاصة في وصف الحركات، والقول بعدم همس الهمزة وعدم جهرها.

ويمكنك التعرف على مدى تبعية هؤلاء اللغويين لفيرث ودانيال جونز بالرجوع إلى المراجع التالية:

أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٩٠، ١٧١، ١٧٣.

بشر، علم اللغة العام - الأصوات. ص ١٣٩، ١٧٤.

شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص ٣٨ - ٤٠.

وانظر أيضاً: Jones , D . ,The Pronunciation of English , P . 10

Michell , T . F ., Principles of Firthian Linguistics , P . 75 .

والأقواس التي تحيط بالكلمات: مجهور، وشفوي.. الخ في الفقرة السابقة توضح أن هذه الكلمات أسماء لملامح صوتية، والملامح التي تلعب دوراً في تمييز الفونيمات بعضها عن بعض ـ مثل الفونيمين [d]، [t] في اللغة الإنجليزية اللذين يتميزان من خلال الملمح الخاص بالجهر ـ يطلق عليها اسم الملامح المميزة.

وعرفت مدرسة براغ صياغتين رئيستين لنظرية الملامح المميزة : الأولى مؤسسة على الملامح النطقية، وذلك مثل درجة تضييق مسار الهواء، والتغوير، والرنينية.. الخ، ويعد عمل نيكولاى تروبتسكي الموسوم بـ (Grundzuge der Phonologie) الذي نشر عام ١٩٣٩ بعد وفاته بعام واحد الصياغة المعتمدة لهذه المرحلة من تاريخ هذه المدرسة، وهي الصياغة التي يرى فيها تروبتسكي أن الفونيمات في أية لغة من اللغات تتحدد من خلال شبكة من التقابلات بحسب تفردها أو اشتراكها في مجموعة من الملامح المميزة، وقد اتسمت شبكة العلاقات هذه بكثير من الغموض والتعقيد[١].

والصياغة الثانية لنظرية الملامح المميزة عند مدرسة براغ مؤسسة على الملامح الأكوستية، فقد تحول جاكوبسن بعد وفاة تروبتسكى من الملامح النطقية (الفسيولوجية) إلى الملامح الأكوستية (الفيزيائية)، وذلك مثل: الخفيض والحاد، ويشيران إلى بروز الجانب الأعلى أو الجانب الأدنى من الطيف الصوتي، والتضام والانتشار، ويشيران إلى الطاقة التي تتكثف في الجانب المركزي من الطيف الصوتي بما يقابل تكثيفها في الجانب غير المركزي، ويرجع هذا التحول إلى مارآه جاكوبسن من غموض في العبارات ذات الصلة بالملامح النطقية[٢].

(١) Harris, Z., Review of Grundzuge der Phonologie, P. 304

(٢) Makkai V. B., Phonology Theory Evolution and Current Practice, P.293

وقد أدخلت هذه المدرسة بعض المفاهيم، وطرحت حلولاً لبعض المشكلات، وذلك مثل فكرة الفونيم الأم (archiphoneme) ومعالجة مشكلة التحييد (neutralization)، وهي افتقاد التقابل بين الفونيمات في مواضع مختلفة من الكلمة، وذلك مثل مايقع بعد /-s/ في بداية الكلمة من أصوات انفجارية حيث لايوجد تقابل فيما بينهما فيما يتعلق بالهمس والجهر، فلايوجد على سبيل المثال التقابل بين sgin*، و skin ، وتكمن المشكلة في كيفية تحليل العنصر الثاني من هذه الكلمات، والحل الذي اقترحه جاكوبسن يكمن في فكرة الفونيم الأم الذي يكتب في هذه الحالة حرفاً استهلاليا كبيراً / sKin/ , وذلك بدلاً من كتابته sgin* أو skin [١].

ومن هذه المفاهيم ما أسماه تروبتسكي الوقفة أو الفاصل (Juncture)، والمراد بها العناصر التي تنبئ بحدود المورفيم (أو الكلمة)، والتي لاتنبئ بها، وجعل ما ينبئ بحدود المورفيم أي بدايته ونهايته علامات إيجابية، ووضعها في قائمة، وذلك مثل التنوعات الموقعية والتتابعات أو العناقيد التي لاترد إلا في أوائل المورفيمات أو نهايتها، كما جعل ما لاينبئ بحدود المورفيم علامات سلبية، ووضعها في قائمة أيضاً، وذلك مثل التنوعات والتتابعات أو العناقيد التي لاتنبئ إلا بفونيم في المورفيم نفسه [٢].

وفي المدة ما بين ١٩٤٩-١٩٥٣ طرح جاكوبسن أعمالاً تتضمن معالجة فونيمات اللغة من خلال الملامح المميزة، وجعل لكل فونيم قائمة من هذه الملامح، وأدخل العلامات الموجبة +، والسالبة -، والمركبة +، والفراغ O ، وهي

(١) Crystal , D . , A First Dictionary of Linguistics and Phonetics , PP. 30 - 31.

(٢) Harris, Z. , Review of Grundzuge der Phonologie , P . 304.

العلامـات التي تمثل وجود الملمـح، أو غيابه، أو حـشويتـه. كما تضـمنت هذه الأعمال تفسيراً للخصائص الأكوستية (الفيزيائية) للملامح المميزة، وتأكيداً على أن عدداً محـدوداً من هذه الملامح يمكن أن يستخدم في وصف كـل اللغات الموجودة في العالم [١].

وربط جاكوبسن كذلـك بين الملامح الأكوستية (الفيزيائيـة)، والأشكال المختلفة لتجويفي الفـم والحلق، وأكد على أن الصياغات الأكوستية أوثق صلة[٢].

وقـد شارك جـاكـوبسن في بعض أعـمـاله هالي (Halle) الذي شارك بدوره تشومسكى (Chomsky) في العمل الكبير الذي يعد عمـدة الفونولوجيا التوليدية، والذي تبني فكرة الملامح المميزة مع تعديلات معينـة أدخلاها عليها[٣].

(٤)

مدرسـة كـوبنهاجن

تعـزى هذه المدرسة إلى مـجمـوعة من الـلغـويين من أشـهـرهم لويس هلمسلف (Louis Hjelmslev)، وسيـدني لامب (Sydney M . Lamb)، وامتد نشاطهـا في الفترة مـابين منتصف الثـلاثينيات إلى الستـينيات، ويختـلف تحليلها الفونيمي عن التـحليل الفونيمي البلومفـيلدى، فالأشياء الجديرة بالاهتـمام ليست الأصوات والمعـاني. . الخ. كما هـو الحال عند بلومفـيلد وأتباعه، ولـكنها نظم العلاقات التي تمثلـها هذه الوحدات، أو بعبارة أخـرى فإن الوحدات الحقيـقية في

(١) Jakobson , R .,On the Identification of Phonemic Entities, P.P 318-322.

انظر أيضاً:

- Makkai , V. B ., Phonology Theory Evolution and Current Practice , P . 294 .

(٢) ibid.

(٣) المراد بهذا العمل الكبير كتاب: The Sound Pattern of Enlish لتشومسكي وهالي (١٩٦٨).

اللغـة ليست الأصوات والحـروف والمعاني، ولكنـها الـ Relata التي تمثلها هذه الأصوات والحروف والمعاني [١].

فمـدرسة كـوبنهاجـن ترى أن الشيء الرئيس الذي يستـحق البحث والـدراسة لايكمن في الأصـوات اللغوية، ولا الحـروف، ولا المعـاني. وإنما في العلاقـات التبادليـة التي تمثلها، وتشكل هذه العلاقات النظام الخـاص بلغة من اللغات، وهو النظام الداخلي الذي يميـز لغة عن لغة أخـرى، وعليه فإن وصـف اللغة يجب أن يبدأ بصـياغـة العلاقات بين الوحـدات ذات الصلة، ولايعد التـمثـيل بالأصوات والحروف والمعاني ذا صلة بالنظام اللغوي، كما لايعد التغيير فيهن مؤثراً في النظام اللغوي.

وقدمت مدرسة كوبنهاجن في الستينيات من هذا القرن مدخلاً للفونولوجيا تميز بالنظر إلى اللغـة على أنهـا تتكون من طبقـات صـوتية، وصـرفيـة، ومفـردية، وجُمْلية. وتربط مفرداتِ كل طبقة علاقات تعد الأساس في البنية اللغوية[٢].

وثمة نوعـان من العلاقـات: الأولى تربط بين مفـردات كل طبقـة على حدة، والأخرى تربط مفردات كل طبقة بالطبقة الأخرى الأدنى منها والأعلى منها، ومن ثم يكون لدينا شبكة من العلاقات التي تميز لغة عن أخرى [٣].

وتتكون الطبقة الأولى من الفـونيمات، ولاتعد الفونيمات العنـاصر النهائية في البنية اللغوية عند مدرسة كوبنهـاجن، فهي تتكون من مكونات متزامنة مثل الشدة

(١) انظر:

- Crystal , D . , A First Dictionary of Linguistics and Phonetics , P . 93 .
- Makkai , V . B., Phonology Theory Evolution and Current Practice , P . 557

(٢) انظر: الخولى، معجم علم اللغة النظري، ص ٢٦٨.

(٣) Makkai , V . B ., Phonology Theory Evolution and Current Practice , P . 557

(closed)، ويشار إليها بـ Cl، والشفوية (labial) ويشار إليها بـ (LB) ، والأنفية nasal ويشار إليها بـ NS، وطرف اللسان (apical) ويشار إليها بـ AP، وموقفها في ذلك قد يشبه ما عند هالي وتشومسكي في الفونولوجيا التوليدية إلا أن هناك كثيراً من الاختلافات، فالمكونات المتزامنة عندهما وهي التي يطلق عليها اسم الملامح المميزة لايُكْتَفَى بذكرها بل لابد من تحديد قيمتها سلباً أو إيجاباً (- أو +)، وعددها أكبر بكثير عما هو عند سيدني لامب، بالإضافة إلى إنكارهما للفونيم، وتحليلهما للمورفيم إلى الملامح المميزة مباشرة دون المرور بالفونيم [١].

وتتركب الفونيمات معاً لتشكل المورفيمات المختلفة، وتتنوع بتنوع السياقات اللغوية تنوعاً غير محدود، وهو تنوع يمكن تمييزه من خلال الملامح الأكوستية (الفيزيائية) بيد أن هذه التنوعات غير ذات صلة بالبنية اللغوية، ولايعد تنوعاً فونولوجيا باستثناء بعض هذه التنوعات التي تختلف الفونيمات فيها تبعاً للمورفيمات المختلفة، وهو مايطلق عليها اسم الفونيمات الصرفية (المورفوفونيمات)، وذلك مثل /s/ الدالة على الجمع في books، /z/ الدالة على الجمع في dogs، ومن ثم تضم الطبقة الصوتية عند مدرسة كوبنهاجن عناصر ثلاثة هي الفونيمات، والصور الصوتية للفونيمات، والفونيمات الصرفية[٢].

وترد القطع الفونولوجية السابقة وفق علاقات معينة في كل لغة من اللغات لتتركب معاً في مقاطع صوتية، أو في وحدات فونولوجية أكبر لتتكون منها الطبقة الصرفية، والطبقة المفردية،والطبقة الجملية على النحو الذي يميز نظرة مدرسة كوبنهاجن[٣].

(١) Lambs , S ., Prolegomena to a Theory of Phonology , P . P . 615 - 618.

(٢) ibid .

(٣) ibid .

ثالثـــاً : الاتجـــاه التوليدي

(١)

نشـأته وأهـــم سماته

تعود نشأة الاتجاه التوليدي إلى عام ١٩٥٧م بظهور كتاب تشومسكي Syntactic Strutures، ويتميز هذا الاتجاه ـ فيما يتعلق بالدراسات الصوتية ـ بامتزاج الجوانب الصوتية والصرفية، كما يختلف مع الاتجاه الفونيمي التقليدي في إنكاره للفونيم، وفي تأكيده على أن المورفيم هو الوحدة الصغرى في التحليل اللغوي[١].

كما يختلف عن الاتجاه الفونيمي التقليدي الذي يعتمد على العناصر الداخلية للنظام اللغوي فحسب، فهو يعتمد كذلك على عناصر خارجية عن النظام اللغوي مثل التنوع اللغوي واللهجات، وظواهر التغيير اللغوي، والرموز المستخدمة في كتابة الأصوات، والكلمات المستعارة من لغات أخرى، والتغيير الذي تتعرض له الكلمات عندما تنتقل من لغة إلى أخرى، واللحن، واللعب بالألفاظ والجمل، ولغات الأطفال، وما يشيع من مفردات وأصوات في لغات العالم، وما إلى ذلك من ظواهر لغوية من لغات شتى وعصور مختلفة [٢].

وإذا كان كتاب (Syntactic Strutures) يعد بداية ظهور الاتجاه التوليدي في الولايات المتحدة الأمريكية فإن كتاب (the Sound Pattern of English) الذي اشترك في تأليفه تشومسكي وهالي (Chomsky & Halle) يعد الكتاب الأم في

(١) أندرسون، علم الأصوات في القرن العشرين - نظريات القواعد، ونظريات التمثيل، ص ٢٨٤، ٢٩٩، وانظر أيضاً:

- Lambs , S ., Prolegomena to a theory of Phonology , P. 608 .

(٢) نفسه، ص ٢٧٦، ٢٨٥، وانظر أيضاً:

باكلا، النظام الصوتي والصرفي في اللغة العربية - دراسة للفعل في اللغة المحكية في مكة المكرمة، ص ٧، ١٠٢٩.

الفونولوجيا التوليدية، فهو أول عمل منشور يشتمل على الشرح التفصيلي للأسس النظرية في الفونولوجيا التوليدية، وعلى تحليل تفصيلي شامل لفروضها النظرية(١).

وخضوعاً لتقنيات الحاسب الآلي، وتأثراً بالبيئة العلمية المحيطة به تصور تشومسكي النظام اللغوي مركباً من عدة مكونات (components)، فهناك المكون النظمي، والمكون الفونولوجي، والمكون الدلالي، وينقسم المكون النظمي إلى مكونين آخرين هما القوانين التحويلية، وقوانين الأساس، وينقسم الأخير بدوره إلى مكونين هما قوانين بنية العبارة والمعجم، وما يخص الجانب الصوتي من هذه المكونات اثنان: المكون الفونولوجي والمعجم (٢).

أما المعجم فيضم ما في اللغة من مفردات أو بالأحرى ما في اللغة من مورفيمات، وتمثل فيه هذه المورفيمات بسلسلة متتابعة من الملامح المميزة التي يتكون منها كل مورفيم على حدة، وتمثل هذه الملامح المميزة إشارات سالبة وأخرى موجبة للأبعاد الثنائية مثل + جهر، - جهر، + رنينية، - رنينية . . . . . الخ (٣).

---

(١) وهناك مصادر أخرى ثانوية للفونولوجيا التوليدية، لهالي، وجاكوبسن، وبوستال. انظر:

- Botha, R ., The Phonological Component of a Generative Grammar , P . 213 .

(٢) انظر:

- Chomsky , N., Syntactic Structures.

- Chomsky , N., Aspects of the Theory of syntax .

- Chomsky , N., Topics in the Theory of Generative Grammar .

(٣) لدور المعجم في الاحتفاظ بالمورفيمات على هيئة تتابع من الملامح الفونولوجية أطلق على هذه النظرية اسم الفونولوجيا المعجمية (Lexical Phonology)

انظر: المزيني، ترقيق الراء وتفخيمها في القراءات القرآنية، ص ٢٢.

وأما المكون الفونولوجي فيضم القوانين الفونولوجية التي يجب أن تطبق على المورفيمات المجردة الموجودة في المعجم، والمشار اليها في الفقرة السابقة لتحولها إلى أصوات فعلية تتضمنها الجمل المنطوقة(١).

(٢)

الصيغة المشتقة والصيغة المقدرة

الفكرة الرئيسة التي تنادي بها الفونولوجيا التوليدية أن كل لفظه لغوية تظهر في اللغة على شكل مجموعة من الأصوات لها أصل آخر مقدر يحتفظ به القسم أو المكون الذي يطلق عليه اسم المعجم في منظومة النحو التحويلي التوليدي.

ويتم تحويل هذه الأصول المقدرة إلى صورها الظاهرة عن طريق قسم أو مكون آخر يطلق عليه اسم المكون الفونولوجي الذي يتضمن قوانين تقوم بعملية التحويل هذه وفق شروط معينة، وترتيب معين(٢).

وقد يتطابق الأصل المقدر مع الصورة الظاهرة حينما لا تتطلب سلاسل الأصوات التي تمثل المورفيمات التي يحتفظ بها المعجم إجراء قوانين صوتية عليها، وقد تتطلب تلك السلاسل إجراء عدد كبير أو صغير من القوانين الصوتية، وهي الحالات التي يتباعد فيها ما بين ظاهر اللفظ وأصله أو تقديره(٣).

وتتناظر هذه الفكرة مع ما يعرف في النحو التوليدي بالبنية السطحية والبنية العميقة فيما يتعلق بنظم الجملة (syntax)، غير أننا نجد في الفونولوجيا التوليدية

(١) Greene , J., Psycholinguistics - Chomsky and Psychology , P . 35

(٢) Chomsky & Halle , The Sound Pattern of English , P. 293 - 294 .

وانظر: Schane, S., Generative Phonology , P. 5

(٣) انظر: السويل، الاستدلال في علم نظام الأصوات التوليدي، ص ٧٣٤، ٧٥٦.

ما يطلق عليه التمثيلات المشتقة. (derived representation) أو الصيغة المشتقة (derived form) فيما يتناظر مع البنية السطحية في نظم الجملة، ونجد ما يطلق عليه التمثيلات المقدرة (underlying representation) أو الصيغة المقدرة (underlying form) فيما يتناظر مع البنية العميقة في نظم الجملة كذلك.

وكما أن المكون النظمي هو الصورة المنعكسة للقدرة على صياغة الجمل والعبارات وتفسيرها، ويتضمن قوانين يفترض أن تكون مستدمجة في مخ الإنسان، فإن المكون الفونولوجي يعد كذلك الصورة المنعكسة لقدرة المتكلم على إنتاج التحققات الفيزيائية والفسيولوجية للإشارات الكلامية وتفسيرها.

وعليه فإن واجب الفونولوجيين التوليديين أن يفترضوا الصيغ أو المورفيمات العميقة التي يتوقعون احتفاظ المتكلم بها في مخزونه اللغوي (المعجم)، وكذلك القوانين التي يفترض أن يحتفظ المتكلم بها (في المكون الفونولوجي) لتحويل هذه الأصول إلى صيغ مشتقة، وذلك وفقاً لضوابط معروفة ترجح افتراضات دون أخرى بما يتناسب مع ما يميز العمليات العقلية من بساطة وفعالية.

وللوصول إلى الهدف المشار إليه في الفقرة السابقة تتعدد افتراضات اللغويين فيما يتعلق بالأصول العميقة أو المقدرة، والقوانين الصوتية التي تحولها إلى صيغ أو تمثيلات مشتقة، وهذه الافتراضات المتعددة تؤدي إلى نتيجة واحدة، ويقع الاختيار من بين هذه الافتراضات على مايثبت مطابقته للمخزون اللغوي للمتكلم، أو لما يدور بذهنه عندما ينطق بتلك الصيغ أو التمثيلات المشتقة، أو عندما يقوم بتفسيرها، وذلك بالاستعانة بالشواهد الداخلية والخارجية [1].

ولا تعد الصيغة المقدرة أو التمثيل المقدر الذي اقترحه تشومسكي وهالى تصنيفاً للفونيمات وفق الاجراءات والخطوات التي استنبطت في إطار الدراسات

(١) المرجع السابق، ص ٧٣٥، ٧٤٥.

الفونولوجية الأمريكية في الأربعينيات والخمسينيات، لأننا لا نستطيع وفقاً لها أن نجعل صوتي [k]، [s] في الكلمتين electricity , electric تنوعين مفردين لفونيم واحد، وذلك لأن كلاً من s , k فونيم مستقل في اللغة الإنجليزية، وذلك بخلاف التوليدية التي تجعل لهما أصلاً مقدراً واحداً[١].

ويرى التوليديون أن هذه التصورات ينتج عنها بساطة في القواعد اللغوية حيث يظهر للمورفيم الواحد تمثيل واحد في المعجم اللغوي على الرغم من تعدد الصور التي يتحقق من خلالها، وذلك باستثناء الحالات التي يكون فيها الاختلاف كاملاً (suppletion) كما في الكلمتين go، و went في اللغة الإنجليزية، كما يقدم لنا هذا التصور تفسيراً لما قد يبدو شاذاً من حيث الظاهر.

(٣)

الملامح المميزة

يتضمن المعجم (lexicon) في النظرية التوليدية قائمة من المورفيمات (الوحدات الصرفية) التي تتضمنها اللغة، كما يختزن المعلومات الخاصة بكل مورفيم، معناه، ونطقه، وخصائصه النظمية والصرفية، وتفترض الفونولوجيا التوليدية تمثيلاً فونولوجياً للمورفيم أشبه بمصفوفة ثنائية الأبعاد تكون الأعمدة فيها بإزاء القطع الصوتية المكونة للمورفيم، وتكون الصفوف فيها قيماً للملامح المكونة للقطع الصوتية، وتتراوح هذه القيم بين العلامة + وتعني أن القطعة الصوتية تتصف بالملمح المذكور، والعلامة - وتعني عدم اتصافها بالملمح المذكور، والفراغ O ، ويعني أن الملمح غير ذى صلة بالقطعة الصوتية [٢].

(١) انظر: Crystal , D., A First Dictionary of Linguistics and Phonetics , P . 344 .

(٢) انظر: Chomsky & Halle , The Sound Pattern of English , P . 295 - 297 .

وانظر أيضاً : Schane , S., Generative Phonology , P . 42

وتعد القطع الصوتية المكونة للمورفيمات، والتي تعد الأعمدة من المصفوفات الثنائية الأبعاد التي تمثل المورفيمات في الفونولوجيا التوليدية تحققات فعلية متزامنة لمجموعة من الملامح المميزة، وتعد هذه الملامح المميزة بديلاً عن الفونيم، وينظر الفونولوجيون التوليديون للرموز الشائعة /P/ ، و /b/ . . الخ على أنها رموز لمجموعات معينة من الملامح، وهذه الملامح ـ وليست الفونيمات أو القطع الصوتية ـ هي الوحدات الصغرى في تحليلهم الفونولوجي(١).

وكما اختلفت الفونولوجيا التوليدية عن الاتجاهات التقليدية السابقة في نظرتها إلى الرموز الألفبائية [s]، [m]. . . الخ، فهي لا تشير إلى أصوات معينة، ولكنها تشير إلى مجموعة الملامح المميزة التي تندرج تحتها، اختلفت كذلك في معالجتها للصوامت والحركات من خلال ملامح واحدة بدلاً من المعالجة التقليدية للصوامت من خلال المخارج والصفات، وللحركات من خلال الأبعاد الثلاثية المعروفة (٢).

وترجع الملامح المميزة إلى جاكوبسن وهالى اللذين جعلاها في أزواج مؤسسة على معايير فيزيائية يمكن ملاحظتها بوساطة جهاز الإسبكتروجراف مع بعض الإحالات إلى المعايير النطقية، وذلك مثل الصائتي (vocalic) في مقابل اللاصائتي (non - vocalic)، والصامتي (consonantal) في مقابل اللاصامتي (non - consonantal)، والتضام (compact) في مقابل الإنثار (diffuse)، والخفيض (grave) في مقابل الحاد (acute)، والأنفي (nasal) في مقابل الفموي (oral)، والآني (discontinuous) في مقابل المتمادي (continuant) والخشن (strident)

(١) انظر: Grystal , D. , A First Dictionary of Linguistics and Phonetics , P117

(٢) تعالج الحركات في النظم الفونولوجية التقليدية من خلال الأمامية والخلفية، واستدارة الشفتين وعدم استدارتهما، والارتفاع والانخفاض.

في مقابل الرقيق (melow)، والمنبسط (flat) في مقابل غير المنبسط (/ plain sharp)، والمجهور (voiced) في مقابل المهموس (voiceless)[١].

وقد عرض هالي (Halle) لهذه الملامح في بحث له شارحاً لها من خلال الإحالة إلى خصائص نطقية تتعلق بدرجات التضييق في جهاز النطق حيث جعلها أربع درجات تتدرج من أقصى درجات التضيق (contact) التي تصحب النطق بالصوامت الشديدة إلى أدنى درجات التضييق (constriction) التي تصحب النطق بالحركات المرتفعة مثل [i] و [u] مروراً بدرجتين أخريين تتوسطهما تصحب الأولى منهما الأصوات الرخوة أو الاحتكاكية، و تصحب الثانية الأصوات الانزلاقية مثل (W) [٢].

وترتبط الأصوات الصائتية بالتضييق الأدنى، وترتبط الأصوات اللاصائتية بالدرجات الأخرى الثلاثة، كما ترتبط الأصوات الصامتية بأقصى درجات التضييق وما يتلوها مباشرة، وترتبط اللاصامتية بالدرجة الدنيا من التضيق الحادث في مجرى التجويف الفموي [٣].

وعليه فإن القطع الصوتية تنقسم إلى حركات، ويرمز لها ب (V)، وهى صائتية ولاصامتية، والصوامت ويرمز لها بـ (C) وهي صامتية ولا صائتية، والصوامت السائلة مثل r، l ويرمز لها ب L وهي صامتية وصائتية، والانزلاقيات مثل h ويرمز لها ب H وهي لا صامتية ولا صائتية [٤].

(١) Crystal , D. , A First Dictionary of Linguistics and Phonetics , P. 118

(٢) Halle , M ., On the Basses of Phonology , P. 327 - 328 .

(٣) Jakobson & Halle , The Distinctive Feature , P . 155 .

(٤) Halle , M ., On the Basses of Phonology , P . 326 - 331 .

وقد أضاف تشومسكي وهالي ملامح جديدة إلى الملامح التي سبق أن قدمها جاكوبسن وهالي، كما غيرا بعض مسميات هذه الملامح، واحتفظا ببعضها كما هي بلا تغيير، ومن هذه الملامح التي نجدها عند تشومسكي وهالي الأمامية (anterior) ويميز أصوات مثل t، p حيث يصدران من الجزء الأمامي الأقصى الذي يمتد من الشفتين إلى الطرف اللثوي، واللأمامية (non - anterior) ويميز بعض الأصوات مثل k لأنه ينطق من الجزء الخلفي، والإكليلية (coronal) ويميز بعض الأصوات مثل t، لأنه يصدر من جسم اللسان(١).

ومن هذه الملامح أيضاً الرنينية (sonorant)، وتتصف بها الحركات (vowels)، والأنفيات (nasals)، والأصوات السائلة (liquid)، وأشباه الحركات (semi - vowels). ويقابل الرنينيَة اللارنينيةُ (non - sonorant) وتتصف بها الأصوات الشديدة (stops)، والأصوات الأحتكاكية (Fricatives) والأصوات المزجية(affricates) والانزلاقيات الحنجرية (laryngeal glides)(٢).

ومن هذه الملامح أيضاً الجانبية (Lateral) ويتصف بها من الأصوات الجانبية ال [l]، وغير الجانبية (non - lateral) ويتصف بها ال [r]، والتكرارية (trill) حيث يصنع اللسان ضربات عديدة قبالة منطقة النطق العليا، وهو ما يتصف به ال [r] أيضاً.

وقد اعتمد التوليديون في اكتشافهم لهذه الملامح المميزة على ما يشيع في معظم لغات العالم، وعلى ما يجرى على ألسنة الأطفال في مراحلهم الأولى من تعلمهم

(١) Crystal , D ., A First Dictionary of Linguistics and Phonetics , P. 94 , 136
وانظر أيضاً: Ladefoged , P., Preliminaries to Linguistic Phonetics , P . 100

(٢) ibid , P . 247 , 325 .
وانظر: Halle , M ., On the Basses of Phonology , P . 326

اللغة، كما اعتمدوا في ذلك على مالاحظوه من اشتراك بعض الأصوات اللغوية في عمليات فونولوجية واحدة، أو اتفاقها في مسلكها من الناحية المورفولوجية، أو خضوعها لقانون تغير تاريخي واحد، وذلك مثل ظهور مورفيم الجمع في اللغة الإنجليزية بشكل معين عقب أصوات معينة، وظهور الحركات الثلاثة الضمة والكسرة والفتحة على نحو معين في لغة الطفل وفي معظم لغات العالم، وكذلك الصوامت الثلاثة p , k , t وهلم جراً [١].

ويزعم الفونولوجيون التوليديون أن مدخلهم هذا يتيح مالا يتيحه الاتجاه التقليدي الذى يصف لنا الأقوال كسلسلة من القطع الصوتية، ويستخدم الألفبائية الصوتية العالمية للإشارة إلى العناصر الموجودة في النظم الصوتية في اللغات موضع البحث، فتلك الملامح مجموعة صغيرة نسبياً من الملامح المتقابلة (اثنى عشر ملمحاً تقريباً) تفسر كل التقابلات الفونولوجية الموجودة في اللغات، وتتيح كذلك وصف كل من الحركات والصوامت من خلال معايير واحدة بدلاً من إفراد معايير خاصة لكل طائفة منهما[٢].

---

(١) ibid , P . 324 .

ويربط التوليديون ماهو عالمي أو طبيعي بماهو غير موسوم، والمراد بالوسم (markedness) الانحراف عما هو شائع ومتداول ومنتشر في لغات العالم، وفي المراحل الأولى من تعلم اللغة.

لمزيد من التفصيل انظر:

Chomsky & Halle , " The Marked / Unmarked " Theory of Phonology, P . 242 - 256

(٢) Grystal , D., A First Dictionary of Linguistics and Phonetics , P . 118,

Halle, M ., On the Basses of Phonology , P . 327.

(٤)

العمليات والقوانين الفونولوجية

أولت الفونولوجيا التوليدية اهتماما خاصاً بالعمليات الفونولوجية التي تحدث فيما بين القطع الصوتية للمورفيمات المتجاورة، وهي عمليات ينبثق عنها تغييرات تصيب جانباً من تلك القطع الصوتية المتجاورة، ومن هذه العمليات المماثلة، وتؤدي إلى أن تكتسب القطعة الصوتية ملامح من القطعة الصوتية التي تجاورها.

ومن هذه العمليات ما يتعلق بالبنية المقطعية، فالصوامت والحركات المتتابعة يمكن أن ينالها الحذف، والدمج، كما يمكن أن تزاد صامتاً أو حركة، ويمكن أن ينال القطعة الصوتية تحول أو تغيير بما يؤدي في النهاية إلى تغيير المقطع الصوتي، ويكون ذلك بهدف الوصول إلى بنية مقطعية مفضلة، أو التخلص من بنية مقطعية أخرى (١).

ومن هذه العمليات أيضاً ما يطلق عليه الإضعاف (weakening) والتقوية (strengthening). مثل اختزال الحركة أو إضعافها لتصبح حركة ثانوية (شيوه) أو العكس، وذلك كما نرى في التناوب بين الحركة المنبورة والحركة الناقصة غير المنبورة في able [eybel] ، و ability [abil ty](٢).

ومنها ما يطلق عليه الترخيم الوسطى (syncope)، وتحذف بموجبه الحركة التي تجاور الحركة المنبورة، وذلك كما هو مشاهد في التحول من اللاتينية، إلى الفرنسية، والترخيم الختامي (apocop) وفيه تحذف الحركة النهائية غير المنبورة،

---

(١) Schane , S ., Generative Phonology , P . 57 .

(٢) ibid.

وانظر: Crystal , D . , A First Dictionary of Linguistics and Phonetics , P . 382

وتكون غالباً من الحركات الثانوية، وذلك مثل حذف الحركة الثانوية الأخيرة من الكلمات الفرنسية عند نطقها نطقاً دارجاً[١].

ومن هذه العمليات أيضاً إدغام الحركات (diphthonization)، وفيها تتحول الحركات البسيطة، إلى حركات مزدوجة في سياقات معينة، ومن ذلك التغييرات التي تعتري الحركات مثلما أصاب الإنجليزية المتأخرة من تحول أطلق عليه اسم التحول الحركي الكبير، تحولت فيه الحركات الإنجليزية بموجبه وفق حركة عقارب الساعة فيما يتعلق بالبعد الخاص بالارتفاع والانخفاض حيث أصبحت الحركات المنخفضة متوسطة، وأصبحت الحركات المتوسطة مرتفعة، وأصبحت الحركات المرتفعة منخفضة، وهو عكس ما أصاب اللاتينية الكلاسيكية عند تحولها إلى اللاتينية الدارجة[٢].

ومنها ما يطلق عليه اسم التحييد (neutralization) وتزول بموجبه الفوارق المميزة بين طوائف القطع الصوتية، حيث يسقط ملمح معين مثل الهمس والجهر، أو الأنفية والفموية، أو الارتفاع والانخفاض[٣].

وقد أولت الفونولوجيا التوليدية اهتماماً خاصاً بما أسمته القوانين الفونولوجية، وهي القوانين التي تحكم العمليات الفونولوجية، وثمة تقاليد مرعية في صياغتها لهذه القوانين فالسهم يشير إلى اتجاه التغيير، وما على يساره وما على يمينه يشيران إلى طرفي التغيير، أما الشرطة المائلة / فيأتي بعدها سياق تطبيق القانون، أو الشروط الواجب توافرها لتطبيق القانون، وتشير الشرطة الأفقية إلى القطع الصوتية التي تتعرض للتغيير في إطار السياق الكلي لتطبيق القانون،

(١) ibid.

(٢) ibid .

(٣) Schane , S ., Generative Phonology , P . 58 .

كما يشير الرمز + إلى حدود المورفيمات، والرمز # لحدود الكلمة، والرمز // لحدود التعبيرة أو الوقف، وتهدف التوليدية من وراء استخدام هذه الرموز وتلك التقاليد إلى الإمساك بالجوانب ذات الصلة بالعمليات الفونولوجية(١).

ومن أمثلة تلك القوانين اكتساب الحركة ملمح الأنفية إذا سبقت صامتاً أنفياً يتلوه صامت آخر، واكتساب الصوامت غير الرنينية ملمح الجهر إذا وقعت بين حركتين، واكتساب الحركة ملمح الأمامية إذا أتى بعدها الحركة [i] بصرف النظر عن وجود صوامت بين الحركتين (٢).

ومن أمثلتها أيضاً أن يكون النبر في كلمات اللغة الفرنسية على الحركة الموجودة في المقطع قبل الأخير إذا كانت تلك الكلمات تنتهي بالشيوه (schwa)، وأن يكون على الحركة الموجودة في المقطع الأخير، في الكلمات التي لا تنتهي بالشيوه، أو بعبارة أخرى إما أن يكون موضع النبر على الحركة التي تسبق الشيوه، أو على حركة المقطع الأخير في غياب الشيوه (٣).

ومن هذه القوانين الحذف والإدخال، ويشار إلى الحذف ب /ø/ على يمين السهم، كما يشار إلى الإدخال بوضع الرمز ذاته على يسار السهم، وذلك مثل حذف الصوامت الأنفية بعد الحركات الأنفية، وإدخال حركة بين الصامتين حال وقوعهما في بداية الكلمة، ومنها أيضاً إدغام قطعتين صوتيتين لتصبحا قطعة صوتية واحدة (٤).

وقد تتضمن العمليات الفونولوجية استثناءات، فقد يوجد مورفيم مستوف

(١) Schane , S., Generative Phonology, P . 73 .

(٢) Hawkins , P ., Introducing Phonology . P . 23 .

وانظر أيضاً Schane , S., Generative Phonology , P . 61 , 63 .

(٣) ibid , P. 65 .

للشروط الخاصة بقانون ما، بيد أن تطبيق هذا القانون عليها يؤدي إلى نتيجة خاطئة، وإذا لم يطبق هذا القانون يكون اشتقاق الصيغة سليماً، ويرى التوليديون أن معالجة تلك الاستثناءات يكون من خلال النص في المعجم على القاعدة التي يتم استثناء المورفيم الشاذ منها (١).

وثمة نوع آخر من القوانين يطلق عليها اسم القوانين الثانوية، وهي القوانين التي لا تنطبق إلا على مجموعة صغيرة من الصيغ التي تقع في إطار أكبر، وذلك مثل تحول الصامت الاحتكاكي المهموس في طائفة معينة من الكلمات في اللغة الإنجليزية ـ عند الجمع ـ إلى صامت احتكاكي مجهور، وذلك مثل wife -----> wives، وloaf -----> loves، و shelf -----> shelves . . الخ، ويعالج التوليديون مثل هذه القوانين من خلال النص في المعجم على المورفيمات التي يتم إجراء مثل هذه القوانين عليها (٢).

ويؤكد التوليديون على أهمية خضوع القوانين التي تطبق على مورفيم معين لترتيب معين، فقد يترتب على اختلال الترتيب أن تكون الصيغة المشتقة غير صحيحة، بيد أن هناك من القوانين مالا يتقيد بترتيب خاص، ومنها أيضاً ما ينبغي أن يطبق في آن واحد معاً (٣).

وإذا كانت الصيغة الأولى التي تطبق عليها القوانين الفونولوجية تعرف باسم الصيغة المقدرة، والصيغة الأخيرة التي تكون نتاجاً أو خرجاً لتلك القوانين تعرف

---

(١) ibid , P . 108 .

(٢) ibid , P . 109 .

(٣) ibid , P . 78,84 , 89 .

وعن أهمية الترتيب في تطبيق القوانين الفونولوجية.

انظر على سبيل المثال: Hawkins . P ., Introducing Phonology , P . 142 .

باسم الصيغة المشتقة، فإن ما بين هاتين الصيغتين المقدرة والمشتقة صيغاً أخرى وسيطة تنشأ عقب تطبيق كل قانون على حدة، أو تكون خرجاً لكل قانون من القوانين التي تجتمع على صيغة مقدرة واحدة، وهذه الصيغ الوسيطة دون الصيغتين المقدرة والمشتقة في الأهمية.

ويذهب التوليديون إلى أن الصيغ المقدرة في لغة معاصرة تشبة كثيراً صيغاً بالية كانت موجودة عبر تاريخ هذه اللغة، وأن القوانين الفونولوجية التي تطبق عليها ذات علاقة تبادلية مع التغييرات الصوتية التاريخية، وترسم صورة للتغييرات التاريخية التي تعرضت لها تلك اللغة، وللمراحل التي تعاقبت عليها، وعليه فإن الوصف الخاص بلغة معاصرة يُمكِّن المرء من التخمين الذكي فيما كانت عليه الصيغ من قبل، وفيما جرى عليها من تغيير [1].

بيد أن هناك كثيراً من العوائق التي تقف حجر عثرة في طريق هذا التصور، لأن اللغوي الوصفي يضع القوانين الفونولوجية ولا تعنيه الجوانب التاريخية، فهو مَعْنِيّ ببساطة الوصف اللغوي وبرونقه وفاعليته فحسب، كما أن هناك حالات عديدة لايترك التغيير اللغوي فيها أثراً لما كان قبل حدوثه، وقد يعمم التغيير اللغوي في فترة لاحقة ليغطي كل الصيغ التي لم تتأثر به من قبل، وقد يختفي لسبب أو لآخر ركام التغيير اللغوي، بالإضافة إلى وجود كثير من القوانين التي لا تتقيد بترتيب معين، ووجود ظواهر تاريخية تتمثل في إعادة ترتيب القوانين كشكل من أشكال التغيير اللغوي.

(١) تمثل هذه الفكرة ابتعاداً جذرياً عن وجهة النظر التقليدية التي ترى أن الحقائق التزامنية والتاريخية يجب ألا يختلط بعضها ببعض.

انظر: Makkai , V . B., Phonology Theory Evolution and Current Practice , P . 294 .

وانظر ايضا: Schane , S ., Generative Phonology , P 90 - 91 .

تقويم عام

تكشف الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الصوتية في أوربا وأمريكا عن قضايا عديدة يمكن أن تثري التراث العربي وتدعمه، ولعل أول هذه القضايا أن التصنيف الصوتي، ووصف الأصوات اللغوية، ومعالجة القضايا الصوتية لا يقتصر على طريقة معينة، بل تتعدد الطرائق، وتتعارض المذاهب، الأمر الذي يرفع الحرج عن اللغوي العربي المعاصر إذا ما اعتز بموروثه من الدراسات الصوتية التي تنسب إلى عباقرة شهد لهم التاريخ، وشهدت لهم الأمم مثل الخليل بن أحمد، وسيبويه، وابن جني، وابن سينا، والفارابي وغيرهم، ذلك الموروث الذى يتميز عن غيره من الاتجاهات المعاصرة التقليدية وغير التقليدية في أوربا وأمريكا.

وتكشف الأفكار المتداولة في المدارس التي عرضنا لها كثيراً من الجوانب الإيجابية التي يتحلى بها تراثنا، فقد كشفت التوليدية النقاب عن أن القيم الثنائية (الموجبة +، والسالبة -) تعاني من قصور كبير فيما يتعلق بالكشف عن النوعية الصوتية الفعلية للقطع الصوتية، ولا تصلح إلا عندما نعني بالاختلافات النسبية بين اللغات، وقد يكون لدينا مواصفات متطابقة للملامح الصوتية في لغات مختلفة، ومع ذلك لا تنجز صوتياً بطريقة واحدة، نظراً لأن الملمح الواحد قد يتواجد بدرجات مختلفة، والنظام الثنائي المتبع لا يتطرق إلى طريقة وجود الملمح، ولا إلى الدرجة التي يكون عليها هذا الملمح[1]. الأمر الذي يكشف عن قيمة علمية عظيمة لما أكد عليه علماء التجويد في تراثنا العربي والإسلامي من وجوب التلقي والسماع في تعليم القراءات المتواترة والعلوم ذات الصلة، فطالب القراءات

(١) Schane , S . , Generative Phonology , P . 96 .

لا يجاز من شيخه بعد تلقيه للأصول فحسب، بل يجاز بعد تلقيه الأصول والفرش معاً، ولا يكتفى بذلك إلا إذا قرأ ختمة كاملة على شيخه لقارئ معين أو راوٍ معين أو قارئين أو أكثر بالإفراد أو الجمع حسبما يأذن له شيخه، وهذا ما جرى عليه الشيوخ في إجازتهم لطلابهم [١].

ومما يدعم موقف العلماء العرب من ضرورة المشافهة والتلقي ماساقه التوليديون من انتقادات للكتابة الصوتية على أساس أنها تهمل بعض جوانب النطق، وهو ما لم يعده أصحاب الاتجاه التقليدي الغربي مشكلة، فالكتابة الصوتية ليست تسجيلاً مباشراً للإشارة الصوتية، ولكنها مجرد تمثيل لما يعده المتكلم خصائص صوتية للقول، وهذه القضية تفصل في خلاف أثير بين بعض المحدثين العرب حول حاجة العربية إلى رموز خاصة للكتابة الصوتية لصالح من رأى أنه لا داعي لاستحداث رموز كتابية صوتية للغة العربية[٢].

وتكشف مواقف التوليدية عن مشكلات في التحليل اللغوي عالجها العلماء العرب بطريقة تتسم بالسهولة والفاعلية، فقد أخذ التوليديون على نهج من سبقهم في تصنيف الفونيمات عدم إمكانية جعل الصوتين k. s في الكلمتين electric-ity، و electric تنوعين مفردين لفونيم واحد، وذلك لأن كلاً من /k/ ، /s/ فونيم مستقل في اللغة الإنجليزية[٣]، وهو ما دفعهم إلى إنكار الفونيم وصوره الصوتية في إطار تصورهم عن الملامح المميزة والصيغة المقدرة، وقد عالج التراث العربي هذه القضية بتقسيم الصفات إلى قسمين صفات لازمة وصفات عارضة، وجعل للحرف حقًّا تارة، ومستحقاً تارة أخرى، وربط الصفات العارضة بما أطلق

(١) علام، الكواكب النيرات في أثر السنة على القراءات، ص ص ٨١ - ٨٢.

(٢) انظر: السويل، نحو ألفبائية صوتية عربية موحدة - اقتراح لعلماء الصوتيات العرب.

(٣) Crystal , D ., A First Dictionary of Linguistics and Phonetics, P.349

عليه الغـربيون الصور الصـوتية، أما الاخـتلافات التي تدفع بالحـرف لأن يتصف بمجمـوعة الصـفات المميزة لحرف آخـر فقـد ربطها التراث العـربي بالإبدال، أو الإعلال، أو الإقلاب.

وتحوم الشكوك حول بعض الأسس التي قامت عليها الفونولوجيا التوليدية مثل ما ينتـهجه التوليـديون من الاكتفاء بذكـر أحد طرفي العلاقة من جـهر وهمس، ورنينية وعـدم رنينية.. الخ، حيث يكتـفون بالجهـر فقط، ووضع إشارة موجـبة للدلالة عليـه، ووضع إشارة سالبـة للدلالة على الهمس، وذلـك لأن الهمس لا يعني عدم الجـهر فحـسب بل هي حالة نطقـية تختلف عن الجـهر، ومن الواجب توضيح أثرها نطقيـاً وسمعياً، وقل ذلك عن سائر الصـفات أو الملامح والسمات، فضلاً عن وجود كـثير من الملامح ذوات البعد الثلاثي كالرخـاوة والشدة والبينية، والارتفاع والانخفاض والتوسط.

وقد ذكرنا من قبل أن التوليدية اعتمـدت في تصنيفها للأصوات اللغوية على ما تسلكه مجموعاتهـا من سبل في التصريف، وذلك مثل زيادة [z:] في الجمع بعد حـروف معـينة في اللغـة الإنجليـزية، وزيادة [s] بعـد مجـموعـة أخـرى من الحروف، وزيـادة [z] بعد مجموعـة ثالثة، الأمر الذي دفـع هالي إلى عـدّ هذه المجموعات الثـلاثة مجموعات طبيعـية، وهي مجموعة الأصوات الإكليلية الخشنة [+ coronal + strident]، ومجمـوعة الأصوات اللغوية المهـموسة، ومجـموعة الأصوات اللغـوية المجهورة [1]، وهو ما سـبق إليه علماء الـعربية عندمـا جعلوا حروفـاً حلقـية، وأخـرى لسانيـة، وثالثة مـذلقة، ورابعـة مصـمتـة، وكل هذه المجموعات لها طرائق خاصة في التصريف.

(١) Halle , M ., On the Basses of Phonology , P . 324 .

وثمة معالجات ومصطلحات عديدة ترجح تأثر المدارس الغربية في أوربا وأمريكا بالتراث العربي، ومن ذلك ما يتعلق بالفونيم وصوره الصوتية ،وما يميز بين فونيم وآخر من المخارج والصفات، ومنها أيضاً الأفكار الأساس في الفونولوجيا التوليدية مثل. الصيغة المقدرة، والصيغة المشتقة التي اعتمدت عليها في تحليلاتها، وكلها مصطلحات ومعالجات لم نر أحداً نازع العلماء العرب فيها.

كما تؤكد العمليات الفونولوجية التي اعتمدتها التوليدية على عمق التأثير اللغوي العربي فيها ايضاً، فما تجاوزت تلك العمليات ما هو موجود في التراث العربي، وما ابتعدت عنها كثيراً ولا قليلاً، فقد انحصرت تلك العمليات الفونولوجية التوليدية في الإدخال، والحذف، والتغيير الجزئي، والتقديم، والتأخير، والإدغام، والقلب المكاني [1].

وليس غريباً أن تتأثر المدارس والاتجاهات المعاصرة في أوربا وأمريكا بالتراث العربي، فقد كان التراث العلمي العربي نموذجاً ومثلاً يحتذيه الأوربيون قروناً عديدة، كما أن اطلاع تشومسكي (رأس المدرسة التوليدية) وهو اليهودي على ما فى التراث العربي بشكل مباشر أو غير مباشر لا يمكن إنكاره، فقد وضع أحبار اليهود النحو العبري في القرون الوسطى في ظل السيادة العلمية والسياسة للعرب والمسلمين [2].

---

(١) انظر: Schane , S. ,Generative Phonology, P . 68 .

(٢) فيما يتعلق بتأثر المدرسة التوليدية بالتراث العربي انظر: صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدرسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

وانظر أيضاً: عبده، الدراسات الصوتية في اللغة العربية بين الوصف والتفسير، ص ٧٢.

وفيما يتعلق بتأثر النحو العبري بالنحو العربي في القرون الوسطى انظر: السعران، علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي، ص ٣٥٧.

نتائج وتوصيات

١ - عرف التراث العربي اتجاهاً فريداً في الدراسات الصوتية تَمَثَّل في علماء التجويد الذين نهجوا نهجاً نظرياً وعملياً، وبَسَّطوا مبادئ الدراسات الصوتية العربية، وأشاعوها بين العامة والخاصة على نحو لا نعرف له مثيلاً في تاريخ العلم.

٢ - عرفت الدراسات العربية المعاصرة اتجاهاً آخر في الدراسات الصوتية تَمَثَّل في نخبة من الباحثين الذين تأثروا كثيراً بدراساتهم العليا في الخارج، واتسم هذا الاتجاه بالانبهار بما لدى الغرب، والتحامل ـ على نحو متفاوت ـ على علماء العربية، كما اتسم بكثرة الاختلافات بين رموزه، وشيوع الاضطرابات في مصطلحاته.

٣ - عرفت الدراسات الصوتية الغربية اتجاهين رئيسين في أوربا وأمريكا، أحدهما يعتمد الفونيم أساساً للتحليل الفونولوجي، ويطلق عليه اسم الاتجاه الفونيمي أو مدارس الفونيم التقليدية، وثانيهما ينكر الفونيم ويعتمد الملامح المميزة أساساً للتحليل الفونيمي، ويطلق عليه اسم الفونولوجيا التوليدية.

٤ - بدا أثر التراث العربي واضحاً في كثير من المدارس الفونولوجية الغربية فيما يتعلق بالمصطلحات، والأفكار، والمعالجات على حد سواء.

٥ - يوصى الباحث بالاهتمام الفائق بعلم التجويد والقراءات، والاعتماد عليه بوصفه اتجاهاً فريداً، وأصيلاً، ومتميزاً بين الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الصوتية.

المراجع العربية والأجنبية

١ - علم الأصوات في القرن العشرين: نظريات القواعد ونظريات التمثيل/ ستيفن أندرسون؛ عرض وتحليل محمد سامي أنور .ـ عالم الفكر، مج ١٨، ع٣ (١٩٨٧م).

٢ - الأصوات اللغوية/ إبراهيم أنيس .ـ ط ٦ .ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م.

٣ - أصوات اللغة/ عبدالرحمن أيوب .ـ ط٢ .ـ القاهرة: مطبعة الكيلاني، ١٩٦٨م.

٤ - تحليل عملية التكلم وبعض نتائجه التطبيقية/ عبدالرحمن أيوب .ـ مجلة عالم الفكر، الكويت، مج٢٠، ع٣ (أكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر (الألسينة) ١٩٨٩م.

٥ - النظام الصوتي والصرفي في اللغة العربية: دراسة للفعل في اللغة المحكية في مكة المكرمة/ محمد حسن باكلا .ـ ط١ .ـ بيروت: مكتبة لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٦ - بشر، محمد كمال: علم اللغة العام - الأصوات، ط٧، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.

٧ - قواعد التجويد والإلقاء الصوتي/ جلال الحنفي البغدادي .ـ بغداد: مطابع دار الحرية، ١٩٨٠م.

٨ - آليات النطق عند علماء التجويد/ مصطفى التوني .ـ القاهرة: دار شمس المعرفة، ١٩٩٠م.

٩ - التحليل النطقي والوظيفي للحركات في التراث العربي/ مصطفى التوني .ـ القاهرة: جامعة الأزهر، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، ١٩٩٨م.

١٠ - التمهيد في علم التجويد/ محمد بن محمد بن الجزري؛ تحقيق على حسين البواب .ـ ط ١ .ـ الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٥م.

١١ - التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي والصرفي/ أحمد علم الدين الجندي .ـ القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الأربعون (١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م).

١٢ - سر صناعة الإعراب/ أبو الفتح عثمان ابن جني؛ تحقيق حسن هنداوي .ـ دمشق: دار القلم، ١٩٩٣م.

١٣ - البحث اللغوي/ محمود حجازي .ـ القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٩٣م.

١٤ - مناهج البحث في اللغة/ تمام حسان .ـ الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

١٥ - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد/ غانم قدوري الحمد .ـ ط١ .ـ بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٦ - أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة: مناهج ترقية اللغة تنظيرا، ومصطلحاً، ومعجما - اللسانيات العربية المطبقة في القرن العشرين/ محمد رشاد الحمزاوي .ـ ط ١ .ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م.

١٧ - مبادئ علم اللسانيات الحديث/ حنا سامي عياد . . [وآخر] .ـ الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١ م.

١٨ - كفاية المستفيد في فن التجويد/ محي الدين عبدالقادر الخطيب .ـ ط٥ .ـ بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٩ - معجم علم اللغة النظري/ محمد علي الخولي .ـ بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢م.

٢٠ - هداية المستفيد في أحكام التجويد/ محمد المحمود أبو ريمة .ـ القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٤٣هـ.

٢١ - علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي/ محمود السعران .ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م.

٢٢ - نحو ألفبائية صوتية عربية موحدة ـ اقتراح لعلماء الصوتيات العرب/ عبدالعزيز السويل .ـ مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مج١٣، ع١ (١٩٨٦م).

٢٣ - الاستدلال في علم نظام الأصوات التوليدي/ عبدالعزيز السويل .ـ مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مج١٣، ع٢ (١٩٨٦م).

٢٤ - الكتاب/ لسيبويه؛ تحقيق عبدالسلام محمد هارون .ـ القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

٢٥ - إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي/ عبدالرحمن بن إسماعيل إبراهيم أبو شامة؛ حققه وضبطه إبراهيم عطوة عوض .ـ القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٨١م.

٢٦ - المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي/ عبدالصبور شاهين .ـ القاهرة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠م.

٢٧ - المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي/ صالح عبدالرحمن الحاج، (وقائع ندوة، إبريل ١٩٨٧م ـ الرباط) .ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م.

٢٨ - هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي: رؤية لسانية حديثة/ عبدالقادر عبدالجليل .ـ عمان: دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨ م.

٢٩ - الدراسات الصوتية في اللغة العربية بين الوصف والتفسير/ داود عبده (وقائع ندوة - إبريل ١٩٨٧م الرباط) .ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م.

٣٠ - فن الإلقاء/ عبدالوارث عسر .ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

٣١ - الكواكب النيرات في أثر السنة على القراءات/ علام بن محمد .ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٢١ (محرم ١٤١٩هـ).

٣٢ - دراسة الصوت اللغوي/ أحمد مختار عمر .ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٣٣ - التنغيم في إطار النظام النحوي/ أحمد أبو اليزيد الغريب .ـ مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، ع ١٤ (١٤١٧هـ، ١٩٩٦).

٣٤ - الموسيقى الكبير/ محمد بن محمد بن طرخان الفارابي؛ تحقيق وشرح غطاس عبدالملك خشبة، مراجعة وتصدير محمد أحمد الحفني .ـ القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

٣٥ - سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى/ أبو القاسم علي بن عثمان القاصح .ـ القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م.

٣٦ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة/ عبدالفتاح القاضي .ـ ط١ .ـ القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ،

١٩٥٥م.

٣٧ - طلائع البشر في توجيه القراءات العشر/ محمد الصادق قمحاوي .ـ القاهرة: مكتبة العلم والإيمان، ١٩٧٨م.

٣٨ - نظرات في علم التجويد/ إدريس عبدالحميد الكلاك .ـ ط١ .ـ بغداد اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ١٩٨١م.

٣٩ - اللغة وعلم اللغة/ جون ليونز؛ ترجمة مصطفى التوني، مج١ .ـ القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٧م.

٤٠ - المقتضب/ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد؛ تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة .ـ القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤م.

٤١ - إحياء التراث/ إبراهيم مدكور .ـ القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٣٨ (١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م).

٤٢ - إحياء التراث/ إبراهيم مدكور .ـ القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٣٩ (١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م).

٤٣ - إحياء التراث/ إبراهيم مدكور .ـ القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٤٠ (١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م).

٤٤ - هداية القاري إلى تجويد كلام الباري/ عبدالفتاح سيد عجمي المرصفي .ـ القاهرة: دار النصر للطباعة الإسلامية، ١٩٨٢م.

٤٥ - ترقيق الراء وتفخيمها في القراءات القرآنية/ حمزة بن قبلان المزيني .ـ مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مج ١٥، ع١ (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م).

٤٦ - دراسات نقـدية في اللسانيات العربيـة المعاصرة/ سعـد مصلوح .ـ ط١ .ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٤٧ - نهاية القول المفيـد في علم التجويد/ محمد مكي نصـر .ـ القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٤٩هـ.

٤٨ - علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجـيا/ عصام نور الدين .ـ ط١ .ـ بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٢م.

49 - Bloch. , B. , Phonemic Overlapping , in Makkai (ed.) 1972, P . P. 66 - 70 .

50 - Bloomfield , L . , Language , London , Alien and Unwin , 1935 .

51 - Botha, R . , The Phonological Component of a Generative Grammar, in Fudge (ed.) 1973 , P . P . 313 - 231 .

52 - Chomsky , N. , Syntactic Structure , The Hague , Mouton , 1957 .

53 - Chomsky , N., Aspects of the theory of syntax , Cambridge Massachusetts , 1964 .

54 - Chomsky , N., Topics in the theory of Generative Grammar, The Hague , Mouton , 1966 .

55 - Chomsky , N. , & Hall , M . ,The Sound Pattern of English , New York ; Harper & Row Publishers , 1968 .

56 - Chomsky , N ., & Hall , M . ,The Marked / Unmarked Theory of Phonology , in Fudge (ed .) 1973, P . P., 242 - 256.

57 - Crystal , D ., A First Dictionary of Linguistics and Phonetics , London, Andre Deutsch , 1980 .

58 - Firth , J , Sound and Prosodies , in Makkai (ed.) , 1972 , P.P 252 - 263 .

59 - Fodor , J., and Katz , J ., (ed.) The Structure of Language - Reading in the Philosophy of Language , New Jersy , Prentice - hall , Inc . ,

1964 .

60 - Fromkin, V., On System Structure Phonology, in Makkai (ed.), 1972, p.p. 283-295.

61 - Fudge, E., Phonology, in Lyons (ed.), 1972 , P.P. 76-95.

62 - Fudge, E. (ed.), Phonology - Selected Reading, England, Penguin Books Inc, 1973.

63 - Greene, J., Psycholinguistics - Chomsky and Psychology, England, Penguin Books Ltd., 1979.

64 - Halle, M., On the Basses of Phonology, in Foder, J. and Katz.,J. (ed.), 1964 , p.p. 324-333.

65 - Harris, Z., Review of Grundzuge der Phonologie, in Makkai (ed.), 1972, P.P. 301-304.

66 - Harris, Z. , Simultaneous Components in Phonology, in Makkai (ed.) , 1972 , pp . 115 - 133 .

67 - Hawkins, P ., Introducing Phonology, London, Hutchiinson, 1985.

68 - Hockett, C . , Two Fundamental Problems in Phonomics, in Makkai (ed.) , 1972 , P . P. 200 - 210 .

69 - Jakobson . R., On The Identification of Phonemic Entities, in Makkai (ed.) , 1972 , P . P . 318 - 323 .

70 - Jakobson , R ., & Halle ,M. , The Distinctive Feature in Fudge, E (ed.) . 1973 , P.P . 151 - 158 .

71 - Jones , D ., The Pronunciation of English , Cambridge , Cambridge University Press , 1967 .

72 - Jørgensen , E. F., the Commutation Test and its Application to Phonemic Analysis , in Makkai (ed.), 1972, P.P. 582 - 592 .

73 - Ladefoged, P., Preliminaries to Linguistic Phonetics, Chicago, University Chicago Press , 1971 .

74 - Lambs , S ., Prolegomena to a Theory of Phonology , in Makkai (ed.) 1972 , P.P. 606 - 633 .

75 - Lyon , J ., Phonemic and Non - Phonemic Phonology , Some Typological Reflections , in Makkai (ed.) 1972 , P.P. 275 - 281 .

76 - Lyons . J.(ed.) , New Horizons in Linguistics , England Penguin Books Ltd. , 1972 .

77 - Makkai , V. B . (ed.) , Phonology Theory Evolution and Current Practice , New York , Holt, Rinehart and Winston, INC. , 1972 .

78 - Michell , T . F . , Principles of Firthian Linguistics , London, Longman Group Ltd . , 1975 .

79 - O,Connor , J . , Phonetics , England , Penguin Books Ltd., 1982 .

80 - Palmer, F.R . , Prosodic Analysis , in Fudge (ed.) , 1973 P.P. 181 - 189 .

81 - Pike. , K., On the Phonemic Status of English Diphthongs, in Makkai (ed.) , 1972 , p.p. 145 - 151 .

82 - Robins, R.H., Prosodic Analysis, in Makkai (ed.),1972, p.p. 264 - 274 .

83 - Schane , S. , Generative Phonology , New Jersey , Prentice - Halle, INC., 1973 .

84 - Swadesh , M ., The Phonemic Principle in Makkai (ed.) , 1972 , P.P . 32 - 39 .

85 - Trager , G ., and Bloch , B., The Syllabic Phonemes of English , in Makkai (ed .) , 1972 , p.p. 72 - 89 .

86 - Wells , R., the Pitch Phonemes of English , in Makkai (ed.) 1972 , P.P . 135 - 143 .